أصوات اللغة العربية
بين
الفصحى واللهجات

الدكتور / رمضان عبد الله

كليـــة الآداب بطبـــرق

جامعـــة عمـــر المختـــار

2006

مكتبة بستان المعرفة

طباعة ونشر وتوزيع الكتب

☎: ٠٤٥/٢٢٢٤٢٢٨

٠١٢١١٥١٢٣٧

اسم الكتاب	أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات
اسم المؤلف	د/ رمضان عبدالله رمضان
رقم الإيداع	١٦٢٤٩ /٢٠٠٥
الترقيم الدولى	I.S.B.N 977-393-040 - 8
الطبعة	الأولى
الناشر	مكتبة بستان المعرفة

كفر الدوار ـ الحدائق ـ ٦٧ ش الحدائق بجوار نقابة التطبيقيين
☎: ٠٤٥/٢٢٢٤٢٢٨ الإسكندرية ٠١٢٢٣٥٣٤٨١٤&٠١٢١١٥١٢٣٧.

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والذي اقتضت مشيئته سبحانه اختلاف الألسنة والألوان.والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (ﷺ)،

وبعـــــد.

لعله من الثابت أن الإنسان وحده دون غيره من أعضاء المملكة الحيوانية ـ هـ الذي يستخدم الأصوات فى نظام محدد للاتصال بأبناء جنسه. فقد عرف الفلاسفة الإنسان بأنه حيوان ناطق. وإن ناطقة الإنسان لتستند على ركيزتين هما: ممارسته التفكير، وممارسته الحياة فى جماعة. وما كان هذا وذاك يتم إلا باللغة أعظم الأدوات التى استعملها البشر للكشف عن النفس، وعن غيرهم وعن الكون من حولهم.

واللغة عند الإنسان لها جانبا لا ينفصلان، الأول : جانب اللفظ أو الشكل متمثلاً فى المنطوقات. والثاني جانب المعنى أو المضمون ويتمثل فى المفاهيم والإنسان وحده بفضل ما لديه من خبرات سابقة، لوجود مركز للذاكرة بمخه - يستطيع تفسير الرموز الصوتية التى تصل إلى مخه فى صورة إشارات كهربية إلى معان.

ولذا فقد باءت بالفشل كل المحاولات الجادة التى قام بها العلماء لتعليم الحيوان لغة إنسانية. فالإنسان وحده يملك عقلاً ذات قدرات خاصة على التحليل والتركيب، والتعميم والتجريد؟، لذا فهو يستخدم اللغة فى الإشارة للأشياء المحسوسة، وللتعبير عن الأفكار الذهنية المجردة.

ومع أن الإنسان يستطيع إنتاج عدد كبير من الأصوات المتنوعة، ويستطيع التمييز بينها، إلا أن اللغات لا تستعمل مما ينتج من أصوات إلا القليل منها، فثمة أصوات يمكن أن تتفق عليها هذه اللغات، وثمة أصوات تختلف منها. واللغة العربية شأنها فى ذلك شأن سائر اللغات قد انتقت من الأصوات ما شاع على اللسان، وألفته الأذان، إذ لا توجد لغة تستوعب كل الأصوات، وكل إمكانيات الجهاز النطقي، أو كل إمكانيات التشكيل الصوتي، وإنما تأخذ منها بقدر، وتكتفي بالقليل منها لتؤدي وظيفتها فى التفاهم بين أبنائها.

ومع أن اللغات تستخدم الجهاز النطقي بشكل متشابه، إلا أنها تختلف فى انتقاء الأصوات لاختلافها فى اختبار فخارج هذه الأصوات وضمانها وتصنيفها وتركيبها، إذ تبقى لكل لغة وحداتها الصوتية التى تتألف منها ونظامها الصوتي الذى يميزها عن غيرها من اللغات.

ولما كان لكل لغة نظام صوتي، وصرفي، ونحوي، ودلالي، فإن اللغة فى النهاية منظومة الأنظمة، بحيث يعمل كل نظام منها مع غيره فى آن واحد، وبحيث تتكامل هذه الأنظمة ولا تتعارض، وتتساند ولا تتعاقد. ولكننا مع هذا نفرق بين الأنظمة، بغرض تحليل وحداته الخاصة، وقواعده التي تحكم هذه الوحدات فى تأليفها وانتظامها.

وإذا كان الدرس اللغوي الحديث قد صنفت مجالاته ليختص كل منها بدراسة مستقلة، للأصوات، أو الصيغ، أو القواعد، أو الدلالة – فإنه قد وجه اهتمامه إلى الأصوات التي تتألف منها اللغة باعتبارها منطوقة فى الأساس أما اللغة المكتوبة فثانوية، فقد تعلمنا جميعاً الكلام قبل الكتابة، وعند استعراض تاريخ الجنس البشرى نجد مجتمعات لها لغات منطوقة لا تكتب، ولا نعرف مجتمعا له لغة مكتوبة ولا تنطق.

ولما كانت اللغة أهم نشاط إنساني يحيا فيه الماضي، والحاضر، وتبدى فى مرآته المستقبل، فإن أهم ما يهدف إليه الدرس اللغوي هو فهم حركة اللغة ودينا مبكيتها، حتى يمكن التنبؤ بحركتها فى المستقبل على أساس فهم حركتها فى مجالها التاريخي. ومن أجل ذلك كان هذا البحث لدراسة الأصوات العربية وتطورها، وهو ينهج المنهج التاريخي لتتبع هذه الأصوات، كما يعرض ما انتهى إليه علماء اللغة القدماء والمعاصرين الذين كتبوا فى الأصوات اللغوية.

وقد راعيت عرض آرائهم، ثم مناقشتها بموضوعية بهدف الوصول إلى أهم النتائج عن هذه الأصوات وتطورها فى العربية الفصحى ولهجاتها. فقد عاشت العربية الفصيحة ومازالت تعيش – جنباً إلى جنب لهجاتها. ولم تسلم العربية من آثار هذه اللهجات سواء أكان ذلك فى أصواتها أم فى صيغها أم فى تركيبها أم دلالتها. بل إن الاختلافات الصوتية بين الفصحى واللهجات هو الأوضح، وهو أكثر وضوحاً بين اللهجات وبعضها البعض.

ولم تستطيع اللغة الفصحى القضاء على هذه اللهجات حتى بعد نزول القرآن، مع أنه قد جمعهم على دين واحد، وقبله واحدة وإله واحد أحد، إذ أن توحيد اللهجات فى الساعة عام واحد. ليس بالأمر اليسير لأن أصحاب كل لهجة متمسكون بلهجاتهم، بوعي منهم أو بدون وعى، بيد أن لغة القرآن الكريم قد قربت بين الفصحى ولهجاتها أيما تقريب.

وعند النظر فى تاريخ العربية نجد أن هناك لغة أدبية متمثلة فى النصوص الأدب الجاهلي، وبخاصة الشعر، وهذه اللغة بلغت أوج مجدها وعظمتها فى النص القرآني الحكيم، كما أن هناك فى الوقت نفسه لهجات متباينة للقبائل العربية على اختلافها. وقد أطلق علماء العربية اسم (اللغات) على ما يفهمه المحدثون باسم (اللهجات) حيث تعني (اللهجة) مجموعة من الخصائص اللغوية المشتركة فى بيئة ما. وقد غلبت النظرة الدونية على علماء اللغة المتعصبين

للفصحى عند إشارتهم لهذه اللهجات : لأنهم رأوا فى هذه اللهجات انحطاطاً عن اللغة الفصحى، أو ربما لأنهم رأوا فيها خطراً على الفصحى وبخاصة عند شيوعها وذيوعها على الألسنة فى يسر.

هذا مع أنه من المستحيل على أى مجتمع بشرى ينتشر فى مساحة مترامية الأطراف ـ أن يحتفظ دائماً بلغة واحدة. ويبدو أن هذه النظرة هى التي جعلت علماء العربية يصرفون جل اهتمامهم للغة الفصحى وحدها فى الأغلب، اللهم إلا ما نجده عندهم من إشارات لهن اللهجات مختلطة غالباً بالفصحى، وربما أشاروا إلى أصحاب هذه اللهجات أو لا يشيرون. بيد أن هذه الإشارات لا تقدم لنا صورة مكتملة الجوانب .لأى من هذه اللهجات وبخاصة فى جانبها الصوتي.

ومع ذلك فقد ظلت آثار هذه اللهجات القديمة تعيش على الألسنة حتى اليوم مع وجود اللغة الفصحى، وظل ما بين الفصحى واللهجات من مد وجزر، بدافع عوامل التوحد أحياناً، وبدافع عوامل التفرق أحياناً أخرى، حتى قيل إن كثيرا من الظواهر اللهجية المعاصرة في العربية ليست في الواقع إلا امتدادا للهجات القديمة، فما أشبه الليلة بالبارحة ! وهذا لا يعنى أننا نسعى لتغليب اللهجات على الفصحى، أو الإحلال اللهجات محلها كما فعل الفرنسيون والإيطاليون والأسبان، ولكن لنجمعهما معاً فالحق أننا وجدنا هذه الازدواجية أو الثنائية اللغوية مذ عرفنا العربية حتى من يبدو أن ذلك

ظاهرة طبيعية فى حياتنا اللغوية – اعترفنا بها أم لم نعترف – وليس من الممكن التخلص من إحداهما ما دام ظل يؤدى دوره، ونحتاج إليه، وما دامت عوامل بقائهما معاً ظلت موجودة.

ومن أجل ذلك كانت هذه الدراسة تحت عنوان (أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات) وهى تهدف إلى رصد ملامح التطور الصوتي فى اللغة العربية قديماً وحديثاً.

والله أسأل مخلصاً أن يرزقنا السداد والإخلاص أنه نعم المولى ونعم النصير.

د. رمضان عبد الله.

الفصل الأول

(الفصل التمهيدي)

أولاً : الصوت بوصفة ظاهرة :

الصوت ظاهرة طبيعية، وكل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز، يمثل اهتزازه مصدر هذا الصوت الذى ينتقل إلى الأذان خلال وسط ما هو الهواء غالباً، وتصل سرعة الصوت إلى ٣٢٢ متراً فى الثانية[١] ومن الملاحظ أن الصوت يأتى متنوع الأشكال، وذلك تبعاً لدرجته، وشدته وقيمته .

أما درجة الصوت Pitch فتتوقف على عدد الاهتزازات فى الثانية الوحدة، فالصوت العميق أو السميك [٢] عدد اهتزازاته أقل من الصوت الحاد أو (الرفيق) وعدد الذبذبات بدوره يتوقف على سمك مصدر الذبذبة (كالوتر)، فالسميك يصدر صوتاً سميكاً، كما أن الرقيق يصدر صوتاً رقيقاً، كما يتوقف عدد الذبذبات على طول المصدر، ما الطويل ينتج صوتاً سميكاً وبالعكس، ينتج الوتر القصير صوتاً حاداً. وكذلك يتوقف عدد الذبذبات على قوة التوتر، فالوتر المشدود مثلاً ينتج صوتاً أرق من المسترخى.وأخيراً يتوقف عدد

---

(1) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٦، الأنجلو المصرية، ١٩٩٠.

(2) السمك والرقة من صفات الأحجام. واستعمالها هنا مجازى. وقد استعمل هذين الوصفين د. تمام حسان انظر له : مناهج البحث فى اللغة، ص ٥٩، مكتبة الأنجلو. القاهرة، ١٩٩٠.

الذبذبات علـى شكل المصدر، / طبيعيا كـان أم مصطنعا، وبالتـالي يكون الصوت طبيعيا أو مصطنعا falsetto[١].

ويلاحظ هنا أن صوت الرجل أعمق أو أسمك من صوت المرأة وكلاهما أسمك من صوت الطفل.

أما شدة الصوت أو علوه loudness فإنه يتوقف على سعة الاهتزاز، أي المدى الذى يصل إليه مصدر الذبذبة فى التزاوج بين نقطتي غاية ابتعاده من نقطة الصفر، فعلى قدر اتساع هذه المسافة يكون علوه ووضوحه. فإذا كان الوتر الصوتي الإنساني فى حالة صمت فهو عند النقطة الذبذبة صفر فإذا بدأ فى الذبذبة إلى أعلى وأسفل بمدى يتساوى فيه ما بين نقطة الصف وغاية الصعود، وفيما بين نقطة الصفر وغاية الهبوط. وهذا المدى بدوره يتوقف اتساعه وضيقه على كمية الهواء الخارج من الرئتين المار بين الوترين الصوتيين، فكلما زادت كمية الهواء اتسع المدى، والعكس صحيح. أما فى البيانو، والعود، والكمان فيتوقف على قوة الضرب على المفتاح أو الوتر أو الضغط عليه.[٢]

وكذلك تتوقف شدة الصوت أو علوه على بعد الأذان أو قربها من مصدر الصوت، وكلما قربت الأذان منه يكون وضوح الصوت وشدته، والعكس صحيح ومما يساعد على شدة الصوت أو علوه

---

[1] المرجع السابق، نفس الموضع

[2] د. تمام حسان، مناهج البحث فى اللغة، ص ٦٠

اتصال مصدر الصوت بأجسام رنانة، لذا شدت أوتار الآلات الموسيقية على ألواح أو صناديق رنانة ليقوي الصوت وينصح[١].

وأما قيمة الصوت quantity or timbre فهي أثره السار أو المنفر فى الأذان، فأى صوت يمكن تحليله إلى نغمة أساسية أخرى فرعية، والنغمة الأساسية هى أعلى هذه النغمات ونسمع النغمات الفرعية معها مكونة معها هذا الصوت. واختلاف شكل الموجه هو اختلاف للقيمة، وذلك ما تميزه الأذان بسهولة، وهذه القيمة تجعلك تميز بين صوت صديقك عن غيره، كما تميز بين أصوات الآلات الموسيقية[٢].

ثانياً : الصوت الإنساني وكيفية حدوثه :

تتطلب عملية النطق أن يعمل أكثر من نصف الجسم الإنساني بشكل مباشر أو غير مباشر، وبدءا من بعض عضلات البطن ووصولا إلى الرأس ويتدخل فى هذه العملية جهازان، أما أولهما فهو الجهاز التنفسي the espiratory system المتكون من الرئتين والشعبيات الهوائية والقصبة الهوائية ووظيفته الأساسية التنفس وتزويد الدم بالأكسجين، إلا أنه مع ذلك ضروري فى عملية النطق أو الكلام، فبدون عملية التنفس لا يمكن إنتاج أى صوت، بل لا تكون هناك أية حياة.

---

(١) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٦، ٧

(٢) مناهج البحث فى اللغة، ص ٦١.

وأمـــا ثانيهمـــا فهـــو الجهـــاز النطقـــي أو الصـــوتي Phonatory system وتشكله الحنجرة أو صندوق الأصوات voice box، والحلق، والتجويف الفمى، والتجويف النفي[١].

وهذه الأعضاء كلها لها وظائفها الحيوية الأخرى، فالنطق فى الواقع ليس أكثر من وظيفة ثانوية تقوم بها تلك الأعضاء إلى جانب قيامها بوظائفها الحيوية الأخرى فالنطق فى الواقع ليس أكثر من وظيفة ثانوية تقوم بها تلك الأعضاء إلى جانب قيامها بوظائفها الرئيسية التى خلقت من أجلها فإن عجز الإنسان عن الكلام لإصابته بالبكم لا يعني مطلقاً عجز .أعضائه عن القيام بهذه الوظائف الأخرى التى تحفظ على صاحبها حياته، فلسان الأخرس يقوم بجميع الوظائف التى يقوم بها لسان غير الأخرس فيما عدا الكلام[٢].

فهذه الأعضاء – إذن – تؤدي أصوات اللغة عرضاً، إذ لها جميعاً واجبات أخرى، هى من وجهة النظر البيولوجية أقدم وأهم كالمضغ والتذوق والبلع والشم، والأعضاء هذه المستعملة فى الكلام هى نفسها عند كل البشر، كما أنها عادة تعمل بالطريقة نفسها، فكل شخص قادر على التلفظ بأي شئ دونما صعوبة، شريطية أن يكون لديه حافز، بل هو ينطق بالفعل عدداً كبيراً جداً خلال اجتيازه لما

---

[١] ديفيد ابركرومبى، علم الأصوات العام، ص ٣٦، ص ٣٧، ترجمة د. محمد فتيح، ط ١، ١٩٨٨.
[٢] د. عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة ص ٤٠

يسمي مرحلة(الغمغمة)أو المناغاة babbling stage في تطوره اللغوي[١].

ومع أن علماء التشريح لم يلحظوا أي فرق بين حناجر البشر، ومع أن الصوت الإنساني ينشأ ككل الأصوات من ذبذبات، إلا أنه - مع كل ذلك لا يخلو من تنوع فى الشدة والدرجة، فلكل إنسان صفة صوتية خاصة تميزه عن صوت غيره، بل ليس صوت الإنسان فى حديثه ذا شدة واحدة أو درجة واحدة. ومع أن مصدر الصوت الإنساني غالباً هو الوتران الصوتيان فى الحنجرة، واهتزازاتهما تنطلق من الفم أو الأنف إلى الهواء الخارجي، إلا أن الأصوات تتنوع فى درجتها، حيث تتوقف درجة صوت الإنسان على سنه وجنسه، فالأطفال والنساء أحد أصواتا من الرجال، لأن الوترين الصوتيين فى الأطفال والنساء أقصر وأقل ضخامة، مما يؤدى إلى سرعتها وزيادة عدد ذبذبتها فى الثانية. كما أن ضخامة الأجسام من الناس هم عادة عميقوا الأصوات. كما أن صوت الرجل عرضه للتغير فى درجته بين الخمسين والستين من عمره[٢].

جهاز النطق organs of speech [٣]

للصوت اللغوي عدة جوانب منها الجانب العضوي الفسيولوجي، وذلك يتصل بأعضاء النطق وحركاتها، فقد استخدم

---

(1) انظر. ابركرومبى، علم الأصوات العام، ص ٣٥. ٣٦

(2) الأصوات اللغوية، ص ٨، ٩

(3) انظر د. محمود السعران، علم اللغة. ص ١٤٢ ١٤٤ وكذا. الأصوات اللغوية ص ١٦، د. كمال بشر. علم اللغة، القسم الثانى الأصوات، ص ٥٢ وبعدها ود. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ومناهج البحث اللغوى ص ٢٢، وبعدها الأنجلو. القاهرة ١٩٩٠

الإنسان ذكاءه، فاستطاع أن يكيف جهازه الصوتي في أوضاع مختلفة مع إخراج الهواء من الرئتين فأنتج بذلك أصواتاً مختلفة المخارج والصفات يتألف منها كلام، أما الحيوان فيستخدم نقطة ما من هذا الجهاز الصوتي فيخرج صوتاً متشابها أو صوتين متواليين"[١].

أما عن أعضاء النطق فهي:

(١) الشفتان lips

(٢) الأسنان Teeth

(٣) أصول الأسنان ومقدم الحنك Teeth ridge

(٤) الحنك الصلب (وسط الحنك) Hard palate

(٥) الحنك اللين (أقصى الحنك) soft palate

(٦) اللهاة uvula

(٧) طرف اللسان blade of tongue

(٨) مقدم اللسان (وسطه) front of tongue

(٩) مؤخر اللسان Back of tongue

(١٠) الحلق pharynx

(١١) لسان المزمار Epiglottis

(١٢) موضع الأوتار الصوتية vocal cords

---

[١] د. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم الفقه، ص ٢٢، ونشير إلى أن بعض العلماء سجلوا (٣٢) صيحة مختلفة للشيخين تدور حول التحذير والاعتداء والخوف....إلخ، فالقرد يطلق صيحة (oh) عند الفرح و(oo) عميقة عند الألم و (ee) عالية عند الخوف..وأغلب الباحثين ينكرون قدرة القردة على استخدام أصحابها كعلامات أو رموز.انظر في ذلك : ل.س فيموتسكي، التفكير واللغة، ترجمة د. طلعت منصور ص ١٣٣،١٣٧ الأنجلو المصرية ١٩٧٦.

(١٣) ذلق اللسان (نهائية) tip of tongue

(١٤) الحنجرة larynx

(١٥) القصبة الهوائية wind pipe

أما عن هذه الأعضاء فتقول إن منها ما هو متحرك ومنها ما هو ثابت، فالشفتان تتحركان بحرية فى كل اتجاه وتتخذان أوضاعا مختلفة عند نطق الأصوات، أما الأسنان فمن الأعضاء الثابتة وبخاصة العليا منها، أما السفلي فهي وإن كانت ثابتة فى ذاتها إلا أنها تتحرك بتحرك الفك السفلي، وهذه الأسنان لا تستغل فى النطق إلا بمساعدة أحد الأعضاء المتحركة الأخرى وبخاصة اللسان والشفة السفلي.

وأما سقف الحنك فينقسم إلى أجزاء أربعة أولهما : اللثة وأصول الأسنان العليا والثاني هو الغار وهو الجز الصلب منه وهو محدب ومحزز. والثالث هو الطبق وهو الجزء اللين أو الرخو من سقف الحنك وهو متحرك.والرابع هو اللهاة، وهو جزء متحرك كذلك.

أما اللسان فهو أهم أعضاء النطق، ولذا سميت به اللغة tongue، وهو عضو متحرك مرن، ويتخذ أشكالا مدة عند النطق، وذلك لاحتوانه على عدد من العضلات التى تمكنه من التحرك والتمدد والانكماش والتلوي فى اتجاهات عدة واللسان مقسم عند علماء الأصوات إلى عدة أقسام رنيسية

أما الأول: منها فهو طرفه، وهو الجزء المقابل للثة

والثاني : وسط اللسان أو مقدمة، وهو الجزء المقابل لوسط الحنك أو الحنك الصلب.

والثالث : أقصى اللسان أو مؤخرته وهو الجزء المقابل للحنك اللين أو أقصى الحنك.

والرابع : ذلق اللسان أو نهايته ويعد داخلها فيما أسميناه طرف اللسان، وهناك جزء أخير يسمى أصل اللسان root of tongue

وأما الحلق فهو الجزء الواقع بين الحنجرة وأقصى الحنك ويسمى بالتجويف الحلق وهو الفراغ بين أقصى اللسان والجدار الخلفي للحلق أما التجويف الأنفي Nasal Cavity وهو تجويف يندفع الهواء من خلال عندما ينخفض الحنك اللين فيفتح الطريق أمام هواء الزفير ليمر من خلال التجويف الأنفي، والأنف كما عند نطق الميم والنون.

أما الحنجرة فتقع أسفل الفراغ الحلقى وتكون الجزء الأعلى من القصبة الهوائية وهى تشبه حنجرة ذات اتساع معين، وهى مكونة من غضاريف أحدها وهو الجزء العلوي ناقص الاستدارة من الخلف وعريض بارز من الأمام ويعرف الجزء الأمامى من الحنجرة باسم (تفاحة آدم) ويقع أثناء البلع. وتؤدى الحنجرة دوراً هاماً فى أداء

الكلام، وذلك لوجود الوترين الصوتيين بها، وهما أهم أجزاء الحنجرة.

والوتران الصوتيان عبارة عن شفتين مثبتتين أفقيا من الأمام إلى الخلف أعلى القصبة الهوائية، وهما متصلان من الأمام لكن مع إمكان تحريكهما بحيث من المستطاع اتصال بعضها أو تباعدهما كليا ليتخذا شكل حرف (٧). ويسمى الفراغ الذى بين الوترين باسم المزمار glottis ويمكن أن يؤدى الحدث الذى يقوم به الوتران الصوتيان إلى عدد من الأشكال التى يتخذها المزمار، ولهذه الأشكال أو حالات المزمار أهمية كبرى فى أية لحظة من لحظات الكلام، إذ له أربع حالات:

الأولى: عندما يكون مفتوحا وذلك فى حالة التنفس breath state.

والثانية : عندما يكون متذبذبا vibration وذلك فى حالة الجهر voice.

والثالثة: عندما يكون ضيقا narrow وهذا يمثل حالة الوشوشة whisper

والرابعة: عندما يكون المزمار مغلق closed [(١)].

ومعني هذا أن الوترين الصوتيين قد ينفرجان أو حتى يلمس أحدهما الأخر فيتعلق ممر الهواء نهائيا، وقد يقترب أحدهما من الآخر بدرجة تسمح بمرور الهواء ولكن بصعوبة.

وشدة، ومن ثم يتذبذبان ويصدران نغمة موسيقية. وعلى ذلك فإن أهم أوضاع الوترين أربعة:

---

(١) علم الأصوات العام، صـ ٤٣، ٤٤

الأول وضعهما فى حالة التنفس.

والثاني وصفهما فى حالة تكوين نغمة موسيقية musical note

والثالث وصفهما فى حالة الوشوشة.

والرابع وصفهما فى حالة الغلاف كما عند نطق همزة القطع .glottal stop

كيفية حدوث الصوت الإنساني :

يرتبط حدوث الصوت الإنساني بعملية التنفس ارتباطا وثيقا، إذ يتم إنتاج الأصوات عادة مع عملية الزفير. وعن طريق تيار الهواء تعمل أعضاء النطق، فتيار الهواء هو الأساس لكل أصوات الكلام الإنساني بكل تنوعاته وموجدة ما يسمى بميكانيكية تيار الهواء plutonic air stream mechanism ويكون تيار الهواء طرديا aggressive أو شفطيا ingressive وتيار الهواء الرنوي الطردى هو الطريقة العادية للكلام [١].

وإن كان من الممكن النطق ببعض الأصوات فى حال الشهيق، وذلك عندما ينطق شخص فى موقف انفعالي وهو يشهق قائلا (يا ساتر) حيث أن المقطع الأول (يا) يتم مع تيار الهواء الشفطى (الشهيق) على حين أن بقية الأصوات يتم نطقها مع تيار الهواء الطردى (الزفير) كالمعتاد. وهناك وسائل أخرى لإنتاج

---

(١) انظر، السابق، صـ ٤٠، ٤١

الأصوات لا ترتبط مباشرة بعملية التنفس ففي بعض اللغات الإفريقية أصوات ناتجة عن الحركات العضلية للسان، تبدو فى صورة فرقعات ناتجة عن حركات اللسان أو الشفتين. بيد أن العربية تعتمد مباشرة فى إنتاج الأصوات على تدفق الهواء من الرئتين إلى الفم أو الأنف، وهذا الهواء المندفع إلى الخارج تتغير طبيعته بفعل حركات أعضاء النطق وهذا الهواء الخارج من الرئتين إما أن يجد الوترين الصوتين مفتوحين تماماً لتباعدهما فيسمحان بحدوث التنفس العادى غير المصحوب باحتكاك الهواء بهما. وإما أن يكون الوتران متقاربين قرباً يمكن للهواء من الاحتكاك بهما دون أن يحدث ذبذبة بهما، فيحدث ما يسمى (بالهمس) وتسمى الأصوات المنتجة فى هذه الحالة مهموسة كما نطق السين والزاى.٠٠ الخ. وإما أن يكون الوتران قريبين جداً بحيث لا يمر الهواء بهما دون أن يحدث ذبذبة بهما. ويتكون لذلك الأصوات المجهورة كالباء، فيما يسمى (بالجهر) وهذه الأصوات لها رنين لتردد صدها فى حجرات الرنين التى تشبه الصندوق الخشبي فى العود الذى وظيفته إيجاد الرنين الضروري لإحداث الصوت، وهذا الرنين أشبه ما يكون بأصداء لجرس الوتر تتشابك فى صندوق العود ويكمل بعضها بعضاً. وفى الإنسان صناديق كثيرة للرئتين فالتجويف الصدرى والحلق وتجويف الفم كلها حجرات رنين من أنواع ممتازة، ولهذا كان الجهاز الصوفي الإنسانى أكثر الآلات الصوتية كمالاً وإيفاء للغرض [١]

---

[١] مناهج البحث فى اللغة، ص ٦٢، ٦٣.

ثالثاً : الدرس الصوتي لدى القدماء والمحدثين :

دراسة القدماء للأصوات:

انشغل اللغويون منذ القدم بالأصوات، فظهرت الدراسات الصوتية الأولى عند اليونان والرومان والهنود [١] بيد أن ما توصلوا إليه قديماً كان يقوم فى الأساس على الملاحظة الشخصية، ولم يكن مبنياً على أساس علمي دقيق، ولذلك لم تصل هذه الدراسات إلى التحديد والتدقيق الذى وصل إليه المحدثون والحق أن علماء العربية وبخاصة الأوائل منهم لم يكونوا بمنأى عن الاهتمام بالدرس الصوتي، بل كانت الأصوات وبخاصة العربية منها من الدراسات التى استحوذت على انتباههم "فعملوا فى جهد لا يعرف الملل على إتقان النطق بها، وعلى الأخص عندما انتشر الإسلام فى بقاع الأرض فخشي العلماء أن تتحرف أصوات العربية، فلم يكن القرن الثاني الهجري يبدأ حتى قاموا بوصف الأصوات معتمدين على التجربة باللسان والأذن [٢].

وعلى كل، فإنه من الأهمية التوقف عند بعض العلماء العرب، ولذلك لبيان ما تركوه من أثر فى الدرس الصوتي القديم، **وذلك فى النقاط الآتية :**

* **الخليل بن أحمد الفراهيدى** (المتوفى ١٧٥هـ)، وقد كان يتمتع بسمع مرهف، وبذوق لغوي عال، وساعده ذلك على العناية

---

(1) د. السعران، فى علم اللغة، ص ٩٢-٩٦

(2) المدخل إلى علم اللغة، ص ١٤

بدراسة الأصوات في العربية، ودراسة موسيقى الشعر، فاكتشف علم العروض،وبين أوزان الشعر وإيقاعاته، ووضح بحور الشعر وقوافيه، وكل ذلك "لا يعدو أن يكون دراسة صوتية لموسيقي الشعر واتجه إلى الألحان والأنغام فألف في الإيقاع والنغم "(١)

وعلى كل، فقد كان الخليل أسبق من ذاق الحروف، ليتعرف مخارجها، يقول تلميذه الليث بن المظفر :- وإنما كان ذواقة إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو : أب، أت.٠٠ فوجد أدخل الحروف فى الحلق نجعلها أول الكتاب"(٢).

والكتاب المذكور هنا هو معجم (العين) المنسوب للخليل الذى وضعه للألفاظ العربية، وقد رتبه على حسب مخارج الأصوات، فنبدأ بأصوات الحلق ثم أصوات أقصى الفم ثم أوسط الفم ثم أدنى الفم ثم الشفتين.

ومما تقدم تبين أن الخليل بحسه الفطري قد أدرك حين تذوقه للصوت أنه لا بد من نطقه ساكنا حتى لا يتدخل أو يختلط بغيره من الأصوات، وحتى لا يلتبس على الناطق معرفة كيفية صدروه

---

(١) السابق، نفس الموضع
(٢) معجم العين، ٥٢/١

ومخرجه الدقيق، وهذه الطريقة تقرب مما يدعو إليه المحدثون من علماء الأصوات[١].

* **سيبويه**، المتوفى ١٨٠ هـ، وهو تلميذ الخليل، وسار على نهجه فى دراسة الأصوات فقد خصص لها فصولاً فى (الكتاب) وذكر عددها وصفاتها، وذلك فى باب أعلاه الإدغام، مبررا ذلك بقوله : " وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحق فيه الإدغام، وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه،وما تبدله استثقالا كما تدغم وما تخفيه وهو يزنه المتحرك "[٢].

* **ابن جني**، وفى القرن الرابع الهجري يؤلف أبن جني كتابه فى الأصوات تحت اسم (سر صناعة الأعراب) وقد بين فى أول كتابه كيفية حدوث الصوت، متخذاً وسيلة إيضاح لم يشر إليها سابقاه (الخليل وسيبويه)، وذلك عندما شبه مجرى النفس فى أثناء والنطق بالمزمار، كما شبه مخارج الأصوات، بفتحات هذا المزمار التى توضع عليها الأصابع. كما شبهه حدوث الصوت بوتر العود وأثر الأصابع عليه[٣] مع ذلك فتأثر ابن جني بسيبويه واضح فى كتابة.

---

[١] سيبويه، الكتاب.
[2] ابن جنى، سر صناعة الإعراب، ص ٩/١
[3] ابن جنى، سر صناعة الإعراب، ص ٩/١

* **ابن سينا**، وهو الطبيب العربي الشهير، وهو من علماء القرن الخامس الهجري، وقد ألف رسالة فى الأصوات تحت اسم (أسباب حدوث الحروف)، وقد قسمها إلى ستة فصول، أولها عن سبب حدوث الصوت الإنساني وغيره. والثاني عن سبب حدوث الحروف ويقصد بها الأصوات الإنسانية أو اللغوية والثالث فى بيان تشريح الحنجرة واللسان. والرابع عن الأسباب الجزئية لحذف حروف من حروف العرب. والخامس فى الحروف الشبيهة بهذه الحروف، وليست فى لغة كل، فإن تناول ابن سينا للأصوات مُتميز عمن سبقوه، وهو تناول أقرب إى تناول " علماء وظائف الأعضاء،فلا نكاد نلمح فيها تأثراً بكتاب سيبويه، فله مصطلحاته، وله وصفه الأصيل لكل صوت "(١).

* **الزمخشري** وهو من علماء العربية فى القرن السادس الهجري، وعندما ألف كتابة (المفصل) فى النحو نجده قد خصص القسم الأخير منه للدراسة الصوتية، ولا نكاد نجد فى كتابة إضافة لما ذكره سابقوه وبخاصة الخليل وسيبويه وكذلك فعل شارح كتابه (ابن يعيش) فى شرحه على المفصل.

* **السكاكى** وهو من علماء البلاغة فى القرن السابع الهجري، وقد اهتم بالأصوات فى محاولة جادة منه فى كتابة (مفتاح العلوم)، حيث قدم رسماً بسيطاً لأعضاء النطق وذكر مخارج الأصوات وصفاتها(٢).

---

(١) المدخل إلى علم اللغة، ص ١٧،١٨

(2) السكاكى، مفتاح العلوم

* **أبن الجزرى (المتوفى ٨٨٣هـ)** : وقد تنازل فى كتابة "النشر فى القراءات العشر" حيث يعرض كثيراً للأصوات فى كتابة. هذا " ورغم كثرة كتب القراءات فى العصور المتأخرة وعلاجها المسهب للقراءات السبع والعشر وغيرها ترى أنها اكتفت ببضع صفحات حين تعرض لأصوات اللغة فى صورة مقتضبة لا تخلو من غموض أو تحريف معتمدين على تلقين القراءات وضبتها شفوياً حتى انتهى الأمر إلى بضعة متون صغيرة سميت (علم التجويد) يحفظها الطالب عن ظهر قلب ملتزمة نصوص سيبويه فى شرحه للأصوات " [١]

** ويمكن القول أن الدرس الصوتى عند المتقدمين من علماء العربية قد نال حظاً من الاهتمام والعناية. " وقد كان للقدماء من علماء العربية بحوث فى الأصوات اللغوية شهد المحدثون أنها جليلة القدر بالنسبة إلى عصنورهم. ٠٠ غير أن المتأخرين منهم قد اكتفوا بترديد كلمات المتقدمين دون فهم أو نظر فيها، فقد أصاب بعض هذه الأصوات تطور لم يلحظوه، ولم يفطنوا إليه، ووقفوا بهذا حيث وقف القدماء، لم يستكملوا تلك البحوث القيمة، بل رووها مبتورة حيناً وممسوخة حيناً آخر "[٢].

ومع أن الدراسة الصوتية عند علماء العربية قد جاءت بصفة عامة تالية من ناحية الأهمية للدراسة النحوية والصوفية، حتى إن أكثر النحاة كان يجعلها فى نهاية كتابه – فمع هذا كله يمكن القول بأن " الدراسة الصوتية أجود العمل اللغوي عند العرب من حيث

---

(1) المدخل إلى علم اللغة، ص ١٨

(2) الأصوات ا للغوية، ص ٥

منهجيـة التفكيـر وطـرق الدراسـة، ويمكـن أن نعـرض لمسـألتين لتبين أوجه الجودة فيه، الأولى :
تتمثل فـى تلـك النظـرات العامـة فـى هـذا العلـم، وفـى حـدوده، وفـى تصـور أبعاده المختلفة، والثانية مجيء نظـام الكتابـة مثاليا من حيث وضع رمز واحد مستقل لكل وحدة صوتية "[١].

الدرس الصوتي عند المحدثين:

حظـي الـدرس الصـوتي بقسـط عظـيم مـن اهتمـام المحـدثين، وظهـرت بـوادر ذلـك فـى الربـع الأول مـن القـرن التاسـع عشـر حـين أخذوا مقارنـة اللغات الأوربية " [١].

ويبـدو أن الأثـر لهـذه الدراسـة العربيـة للأصـوات لـم ينتقل إلـى المكتبة العربية إلا بعد مرور ما يزيد عن قرن من الزمـان، إذ بـدأت تظهـر إشــارات لدراســة الأصــوات بعــد الربــع الأول مــن القــرن العشـرين، ولعـل أهـم وأكتـب فـى اللغـة العربيـة عن علـم الأصـوات يتضح فى العرض الآتي لهذه المؤلفات.

(١) الباب الأول من كتاب (التطور النحوى) لبرجشتراسر، ١٩٢٩، حيث اهتم باللغات السامية ومقارنتها وبخاصـة من الناحية الصوتية.

---

[١] د. كمال بشر، دراسات فى علم اللغة، ص ٥٥

[١] د. مراد كامل، مقالة (علم الأصوات نشأته وتطوره)، مجلة المجمع ٧٩/٧٥/١٦

(٢) محاضرة بعنوان (علم الأصوات عند سيبويه وعندنا)، لشادة ألقاها ١٩٣١ بالعربية ونشرت بصحيفة الجامعة المصرية بنفس العام.

(٣) كتاب (الأصوات اللغوية)، د. إبراهيم أنيس، صدر ١٩٤٧، وهو أول كتاب كامل عن الدراسة الصوتية.

(٤) فصل من كتاب (مناهج البحث فى اللغة) بعنوان- منهج الأصوات من ص(٥٩- ٧٠) للدكتور تمام حسان، ويليه اهتمام بعلم الأصوات التجريبي، صدر ١٩٥٥م.

(٥) الأصوات اللغوية، وهو فصل من كتاب (فقه اللغة) لمحمد المبارك من ص ٢٩–٥١ وهو درس تقليدي طبع بدمشق ١٩٦٠ م.

(٦) الباب الثاني من كتاب (علم اللغة) للدكتور محمود السعران، ويقع من ص ٩١- ٢٢٠ وفيه أفاد من كثير من مؤلفات الغرب الصوتية وظهر ١٩٦٢م.

(٧) مقالة بعنوان (جهود علماء العربية فى الدراسة الصوتية) للدكتور / إبراهيم أنيس بمجمع اللغة العربية ١٩٦٣م، بمجلة المجمع
(٤١/١٥- ٤٩).

(٨) (أصوات اللغة)، د/ عبد الرحمن أيوب، ط ١٩٦٣، وفى كتابة اعتماد على كتاب (هفتر)"علم الأصوات العام" المطبوع بالولايات المتحدة ١٩٥٢م.

(٩) كتاب (دروس فى علم أصوات اللغة العربية) لجان كانينو، وترجمة صالح القرماوى، ونشرة فى تونس ١٩٦٦م.

(١٠) القسم الثاني من كتاب (علم اللغة العام) والذى بعنوان (الأصوات) للدكتور/ كمال بشرة نشر ١٩٧٠.

(١١) مقاله بعنوان مشكلة الضاد والعربية وتراث الضاد والصاد. د. رمضان عبد التواب، بالمجمع العلمى العراقى مجلد ١، سنة ١٩٧١م.

(١٢) دراسة الصوت اللغوي. د. أحمد مختار عمر نشر ١٩٧٦.

(١٣) فى علم الأصوات الفيزيقي، مدخل إلى التصور الطريف للكلام، لارنست بو لجزام ترجمة د. سعد عبد العزيز مصلوح، القاهرة، ١٩٧٧م.

(١٤) (دراسة السمع والكلام)، د. سعد عبد العزيز مصلوح، القاهرة ١٩٨٠ م.

(١٥) فى البحث الصوتي عند العرب، د. خليل إبراهيم العطية، بغداد، ١٩٨٣م.

(١٦) (علم الأصوات) لبرتيل ما لبرج، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، القاهرة، ١٩٨٥م.

(١٧) الفصل الأول (الدراسة الصوتية) من كتاب (المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي)، الخانجى، القاهرة، ١٩٨٥ ط ٢.

(١٨) (مبادئ علم الأصوات العام) تأليف ديفيد إبركرومبى، ترجمة د. محمد فتيح ط ١، القاهرة، ١٩٨٨.

رابعاً :علم الأصوات، فروعه، وأهم مصطلحاته:

لا خلاف على أن علم الأصوات هو ذلك العلم الذى يدرس أصوات اللغة دراسة علمية، وهو أحد جوانب الدرس اللغوي الحديث الذى تندرج تحته دراسة اللغة فى أربعة مستويات هى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي.

بيد أن هناك مصطلحين أجنبيين يطلقان على علم الأصوات بينهما بعض التداخل والخلط، الأول منهما مصطلح ((phonetics ومصطلح (phonology) فمن العلماء المحدثين من يعدهما مترادفين. ومنهم من يرى أن الأول والثاني منهما يدرس التغيرات الحادثة لأصوات اللغة، فهو علم الأصوات التاريخي phonetics diachronic historical. وأن الأول مدرس أصوات اللغة وكيفية إنتاجها وانتقالها واستقبالها وهو بذلك فرع من فروع علم اللغة الوصفي،ويقسمونه إلى فروع منها ما هو راجع بكيفية إنتاج الأصوات، وانتقالها، واستقبالها، وله أقسام عدة هى articulator phonetics (علم الأصوات السمعي) .Exrenemed pho (علم الأصوات النطقي) .pho gennemmoc ما بعد الإنتاجي genetic ph الإنتاجي physiological ph علم الأصوات الفسيولوجي(١)

---

(١) ماريوباي، أسس علم اللغة، ص ٤٧، ترجمة د. احمد مختار عمر.

ويرى د. أنيس أن (الفونانيك) يعنى بالأصوات الإنسانية شرحاً وترتيلاً فهو لذلك علمى، أما فرع (الفونولوجي) فيعنى كل العناية بأثر الصوت اللغوي فى تركيب. الكلام نحوى وصرفه ولهذا يمكن أن يطلق عليه علم الأصوات الذى يخدم بنيه الكلمات وتركيب الجمل فى لغة من اللغات. على أن الفرعين قد يلتقيان فى ميدان واحد، فحدودهما متشابكة يصيب تحديد الفواصل بينهما تحديداً دقيق. فمن المحدثين مثل خيرت من يجعل (الفونانيك) خاصاً بالناحية الوصفية، ويجعل (الفونولوجي) خاصاً بالناحية التاريخية، وهناك فريق ثالث على رأسهم دى سوسير De sausure يرى العكس فيجعل الفونانيك للبحث التاريخي والآخر للبحث الوصفي(١)

أما د. بشر فيشر إلى أنه عند مقابلة (الفونانيك) بالفولوجيا يصبح الأول ذا مدلول ضيق نسبياً، لأنه يطلق ويزار به دراسة الأصوات من حيث كونها أحداث منطوقه بالفعل لها أثر سمعى audible effect speech events.

دون النظر فى قيمة هذه الأصوات أو معانيها فى اللغة المعينة،إنه يعين بالمادة الصوتية بالقوانين الصوتية وبخواص هذه المادة أو الأصوات بوصفها ضوضاء noise لا بوظائفها فى التركيب الصوتي للغة ما، أما المصطلح الثاني فهو (علم وظائف

(١) الأصوات اللغوية، ص ٤، ٥.

الأصوات)[١] على أساس أن يعنى بتنظيم المادة الصوتية وإخضاعها للتقصير والتمنين، أو أنه يبحث فى الأصوات من حيث وظائفها فى اللغة. وقد جاء التفريق بين هذين المصطلحين نتيجة لتقدم البحث فى الأصوات، وعندما أدركوا أن أى الصوت الواحد أو ما كان يسمى كذلك هو فى الواقع ذو صور نطقية عدة تتنوع بتنوع السياحة الذي يقع فيه. وهذا قاعدة عامة فى كل الأصوات وخاصة مشتركة بين كل الناطقين باللغة المعينة[٢].

خامساً: الوحدة الصوتية وتنوع صورها:

يطلق المحدثون على الوحدة الصوتية مصطلح phoneme، ويطلقونه على صورها الفرعية مصطلح Allophone. فمثلاً ما نسميه بصوت النون قد يعين عدة أصوات تختلف فى شئ وتختلف فى آخر طبقاً لتعدد السياقات التى تقع فيها، فالنون مصطلح عام (وحدة صوتية) تشمل مجموعة متنوعة من النونات (النونات) [٣]

وكذلك الكاف فى مختلف صورها فإنها مع ذلك ذات قيمة لغوية واحدة وهى كونها قاف ولا جسيما.

---

(١) أطلق عليه. د. بشر (علم الأصوات التنظيمى) فى كتابه قضايا لغوية، القاهرة ١٩٦٢، وترجمة د. محمد أبو الفرج باسم (علم وظائف الأصوات) وبهذا تأخذ لدقتها. وترجمة د. تمام حسان إلى علم التشكيل الصوتى) فى كتابه مناهج البحث فى اللغة.

(٢) د. كمال بشر، علم اللغة، الأصوات ص ٣٤-٣٧

(٣) مناهج السابق، ص ٣٧

إذ يمكن الحكم على هذا الصوت أو ذاك على أنه مجرد اختلاف نطقي سباق أو صوت مستغل ذا كيان خاص حق خلال الفروق التى تؤدى إلى اختلاف المعاني فى الكلمات، والكاف بهذا الوصف يؤدى استعماله إلى هذا الاختلاف حيث نقول (كال) فى مقابل (جال) و(قاله) فنحصل على كلمة مستقلة " ذات معنى مختلف عن الكلمتين الآخرين للكاف فلا تؤدى إلى هذه النتيجة. وهذا اللون من التفكير عند رجال الأصوات كان البذرة الخصبة لظهور نظرية phoneme أو ما يسمى بالوحدة الصوتية phonetic unit فالفونيم وحدة صوتية قادرة على التفريق بين معان الكلمات وليس حدثاً صوتياً منطوق بالفعل فى سياق محمود، فالفونيمات أنماط للأصوات types of sounds والمنطوق بالفعل هى صورها وأمثلتها الجزئية التى تختلف من سياق إلى آخر وتسمى variants أو phones أو Allophones والمصطلح الأخير أكثر استعمالاً وأحدث من سابقين وعلى ذلك فالفونيمات محددة معدودة ولكن الألفونات كثيرة كثرة فائقة.

وإذا كان علم الأصوات الأكوستيكي يعالج أصوات الكلام كما تستقبلها أذن السامع فأن علم الفونيمات وهو علم حديث بالنسبة لعلم الأصوات العام. وظيفته وصف أصوات لغة معينة وتينها على أساس إحساس المتكلمين باللغة واعتبارها عدداً من الأصوات صوتاً واحداً

أو أصـوات متعـددة منفصـلة[١] وعلـى ذلـك يمكـن تعريـف الوحـدة الصوتية phoneme كما عرفها دانيال جونز بقوله. إنها " عائلة من الأصوات المترابطـة فيمـا بينهـا فـى الصفات فـى لغـة معينـة تستعمل بطريقـة تمنـع وقـوع أحد الأعضـاء فـى كلمـة مـن الكلمات فـى نفس السياق الذى يقع فيه أى عضو آخر من العائلة نفسها""[٢]

فـالنون فـى (انكسـر) لا يمكـن أن تقـع فـى موضـع النـون فـى (انتصـر) أو (انشطر) ولذلك فإن الرموز الكتابـة فـى اللغـات المختلفة لا تعبر من الفروق الصوتية الدقيقـة بين الأصـوات بل إنهـا لا تعمر عن بعض فونيماتها الأساسية، كالحركـات القصـيرة فـى العربيـة، لذا فقد ابتكر علمـاء اللغة المحدثون نوعين من الأبجدية الصوتية، الأولى هـي الأبجديـة الصـوتية والثانيـة هـى الأبجديـة الفونيميـة، وتسـتخدم الأولـى البيـان الفـروق الدقيقـة، ويقتصـر اسـتخدام الثانيـة علـى بيـان فونيمات اللغة وهىَ فى جزئها الأكبر مستقل الأبجديـة الاصـطلاحية الرومانية وأحياناً تستعمل الأبجديـة الصـوتية الدوليـة كمـا فـى الأولـى وإن كانـت بعـض رموزهـا تسـتعمل فـى كتابـة بعـض اللغـات دون بعضها الآخر[٣]

---

(١) مناهج البحث فى اللغة، ص ٣٧،٣٨

(٢) اسس علم اللغة، ص ٤٩

(٣) د. احمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوى، ص ٧١،٧٢، عالم الكتب، ١٩٧٦ وأيضا اسس علم اللغة، ص ٥١

الصوت اللغـــوي :

ويمكن تعريفه بأنه " أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزا أعضاء النطق، ويتطلب الصوت اللغوي نضع أعضاء النطق في أوضاع معينة أو تحريك هذه الأعضاء بطرق محددة وهذا يعنى أن المتكلم لا بد أن يبذل مجهودا حتى يحصل على الأصوات اللغوية[١].

وبعبارة أخرى نقول أن الصوت اللغوي هو الأثر السمعي المقصود الهادف الصادر عن أعضاء نطق الإنسان.

وهنا نشير إلى عدة مصطلحات تشير إلى الصوت، حيث يفرق د. تمام حسان بين (١) الجرس Noise ويعنى به أن أثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة (كالنقرة على خشب أو طبلة، أو ضجة المرور، أو سقوط جسم (٢) الحس voice وهو يعنى ما نقصده بقولنا (فلان حسه جميل)، أي وهو ما نطقه جهاز صوتي حتى وبخاصة الجهاز النطقي الإنساني، ومعناه ضيق لا يشتمل على معنى الصوت اللغوي.

(٣) أي الصوت sound بالمعنى العام فهو الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة حتى ولو لم يكن مصدره جهازا صوتيا[٢]

---

(١) علم اللغة العام، الأصوات، ص ٥١

(٢) مناهج البحث في اللغة، ص ٥٩

وهناك مصطلح (phone) ويعنى الوحدة الأساسية أو المادة الخام لعمل الأصوات، وهو أى صوت لغوي يمكن تسجيله بالآلات الحساسة فى المعمل[١].

فالصوت اللغوي له جانبان أحدهما عضوي حركي يتمثل فيما تقوم فيه أعضاء النطق من حركات خاصة. والثاني صوت تنفس ويتمثل فى الأثر السمعي الذى يصل للأذان. • وهذه الحركات النطقية الملونة بألوانها الصوتية الخاصة هى ما أصطلح على تسميته بالأصوات اللغوية[٢].

وهذه الأصوات وإن اختلف من فرد إلى آخر، ومن لهجة إلى أخرى،ومن لغة إلى أخرى فهى مجموعها نوع نطقى معين تشترك اللغات فيه، وتختلف فى أفراده. وهذا هو المبرر الوحيد لخلق أبجدية صوتية عالمية محددة عدد الرموز، فكل رمز فى هذه الأبجدية نوعي typological يدل على طائفة من حالات النطق تشترك فى سلوك عضلى وسمعى معين وتختلف فى تفاصيل نطقها، فالثاء العربية اسنانية مهموسة، وفى الإنجليزية لثوية مهموسة، وفى الهند ستانية انقلابية retroflex أقل همساً من كلتيهما"[٣]

---

(1) اسس علم اللغة، ص ٤٧

(2) اسس علم اللغة، ص ٤٧

(3) السابق، ص ٦٦، ٦٧

سادساً : كيف بدأ الصوت اللغوي:

يشير د. أنيس إلى إجماع المحدثين على أن مرحلة الكلام عند الإنسان متأخرة إذا قست بتطوره فوق سطح البسيطة، حيث يتصور أن الإنسان الأول قد استغل أصواته وأصوات المظاهر الطبيعية فى حاجاته الأولية، وأن الحياة الاجتماعية منذ نشأة الإنسان هى التى ساعدت إلى حد كبير على نمو لغته ولكن العامل الأكبر لرقى هذه اللغة وبلوغها ما بلغت هو ما امتاز به الإنسان من ذكاء.[١]

ويبدو أن الإجماع على ما تقدم متأثر إلى حد بعيد بفكرة التطور الإنساني الدار ونية مع أنه لا يتوفر عليه أى دليل، لأنه يتصل بالبحث فى نشأة اللغة الأولى والتى لا يعلم عنها شئ، ولكن هذا الإجماع يتعارض مع ظاهر كثير من آيات القرآن التى تنص على أن الله قد خلق الإنسان علمه البيان، وأن الله قد علم آدم الأسماء كلها، وسواء أكان ذلك بالتوفيق أو بالتوقيف فالنتيجة فى النهاية واحدة وهو أن آدم كان قد استعمل الأصوات اللغوية، كما أنه سبحانه قد نص فى كتابه بأن آدم قد تلقى كلمات من ربه فتاب عليه، كما ذكر القرآن الحوار الذى دار بين بني آدم وهو حوار لغوي ولاشك وإن كنا لا ندرى شيئاً عن هذه اللغة الأولى فإن ذلك لا يعنى بالضرورة إنكار وجودها، فهى فيما يبدو لغة لها أصواتها ولا نظامها البسيط بساطة تلك الحياة الأولى.

---

[١] الأصوات اللغوية، ص١١، ١٢

وصدق الله العظيم إذ يقول : " ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً "

طول الصوت اللغوي ووضوحه :

ويقصد به الزمن الذى يستغرقه النطق بالصوت مقدراً بجزء من الثانية، فمثلاً الدال فى الإنجليزية تستغرق ٠,٥ من الثانية فى حين أن الفتحة (a) تستغرق ٤٣ ومن الثانية " فالحركات أطول بطبيعة الحال من الصوامت، وكذا فإن الحركات تتفاوت فيما بينها فى الطول، فالفتحة أطول من الكسرة والضمة، كما أن الحركة الطويلة، كالألف مثلاً أطول من نظيرتها القصيرة (الفتحة) وكذلك الأمر فى الحركات الأخرى ويلي الحركات في الطول الأصوات الأنفية كالميم والنون ثم الجانبية كاللام ثم المكررة كالراء ثم الأصوات الرخوة ذات الصفير أو الحفيف كالسين والزاي. وأقلها الأصوات الانفجارية (الشديدة) كالباء.

ويتصل بهذه النقطة (طول الصوت اللغوي) بسمه الوضوح، حيث أن أوضح ما يكون عليه الصوت فى الحركات وإن كان منها القصير ومنها الطويل وكذا فأن الصوت الذى يقع عليه النبر يكون أطول من الصوت غير المنبور.

ويميل الصوت المنبور إلى القصر إذا وليه صوت غير منبور، فالألف فى نحو (كتاب) أطول منها فى نحو (كتاب تلميذ) [١]

---

[١] الأصوات اللغوية ص ١٥٥

سابعاً : المقطع الصوتي:

خلال عملية النطق يلاحظ خروج هواء الزفير من الرئتين على شكل دفعات تتفق كل دفعة منها مع إنتاج مقطع صوتي كامل. ويمكن تشبيه الرئتين عند الزفير أثناء الكلام بالبلونة التي تنتهي بزمارة، ينطلق الهواء منها بحكم ضغط جسمها المطاط، فإذا أخذ الطفل الذى يلعب بها يضغط على جدارها ضاغطات متوالية لخروج الهواء منها على دفعات لا تتوقف لسمعنا للزمارة صوتاً شبيها بالصوت المتقطع بالرغم من عدم تدفعه. وهذه العملية شبيهة كل الشبه بعملية إنتاج المقاطع فى أثناء الكلام، لكل مقطع دفعه هوائية تنتج من انقباضات متوالية يقوم بها الحجاب الحاجز فيؤثر الضغط عن الهواء الخارج من الرئتين دون أن يتوقف خروجه [١].

وعلى ذلك فالهواء الخارج فى دفعات تتفق كل دفعة منها مع إنتاج مقطع صوتي مثلاً عندما تنطلق (كتب) تجد أنها نطقت على ثلاث دفعات فالكاف والفتحة دفعة والتاء والفتحة دفعه، والباء والفتحة دفعة.

والنظرية الفضلي لتفسير المقطع Syllable هى النظرية تشرح المقطع فى صورة ميكانيكية تيار الهواء الرئوية. فالكلام تنفس معدل، فالعضلات التنفسية تنقبض وتنبسط بصورة متعاقبة بمعدل خمس مرات تقريباً فى الثانية حتى إن الهواء يطرد على صورة نفخات صغيرة متعاقبة، وتكون كل انقباضه من هذه الانقباضات مع نفخة الهواء الناتجة أساس المقطع، لذا فالمقطع هو أساساً حركة لأعضاء النطق وتسمي حركة العضلات التنفسية المنتجة للمقطع

---

[١] د. عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، ص ٤٤

نبضة صدرية chest pulse، فالمقطع هو أقل ما يمكن التلفظ بـه ولا شئ وأقل من المقطع يمكن إنتاجه[١].

والكلام يقسم إلى مقاطع يعرف بها نسيج الكلمة، وبنيت عليها الأوزان الشعرية، والمقاطع بصفة عامة نوعان رئيسين مقطع مفتوح وهو الذى ينتهي بحركة قصيرة أو طويلة ومقطع مغلق Closed وهو ينتهى بصامت. فمثلاً (كتب) تتكون من ثلاث مقاطع مفتوحة (ك) (ت) (ب) كل منها (ص ح). أما كلمة (علم) فتتكون من منقطعين هما (عل – من) كل منهما (ص + ح + ص) وهما مقطعان مغلقان وقد لوحظ أن فى العربية خمسة أنواع من المقاطع، حيث (ص) للصامت (ح) للحركة القصيرة الأول يتكون من (ص+ح) مثل اللام الجارة (لـ) والباء الجارة(بـ) والثاني يتكون من (ص + ح ح) مثل (ما) (لا)

والثالث يتكون من (ص + ح + ص) مثل (قل -بع- سل).

والرابع يتكون من (ص+ح ح+ص) مثل نام – بيع – فول) عند الوقف على كل منها بالسكون.

والخامس يتكون من (ص +ح+ص+ص) مثل (نهر – بئر) عند الوقف عليها[٢].

---

(1) أنظر ابروكروينى، علم الأصوات العام، ص ٥٥، وبعدها.

(2) د. عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص ٢١٨، ط، دار الصفا – عمان، ١٩٩٨
د. ٳبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ١٥٩ وبعدها، ومناهج البحث فى اللغة ص ١٤٢ وبعدها

ويسمى الأول بالمقطع الصغير ويسمى بالمفتوح أو الحر أو المتحرك (ص + ح).

أما الثانى والثالث فيسميان بالمقطع المتوسط (ص ح ح) (ص ح ص).

أما الرابع والخامس فيطلق على كل منهما بالمقطع الكبير (ص ح ح ص) (ص ح ص ص) ولا يستعملان إلا عند الوقف. ومعظم مقاطع الكلمات العربية تنمي للنوعين الأول والثاني، ففى العربية كلمات أحادية المطقع مثل (من - من - عن - لن - لم) ومنها كلمات ثنائية المقطع (أكتب – لما). ومنها كلمات ثلاثية المقطع (يقاتل) (يباهي). ومنها كلمات رباعية المقطع مثل (يتعلم) (مدرسة). ومنها كلمات خماسية المقطع مثل (متخاصمين - احتفالات) ومنها سداسية المقطع (يتجاهلون) (استقالاتهم). وسباعية المقطع نحو (متحدثيها - استقبالاتهن).

والقدماء قرروا استحالة - اجتماع أربعة مقاطع مفتوحة فى الكلمة الواحدة وكراهية ولكن لاحظوا وجود أربعة مقاطع مغلقة فى نحو (استفتهم). والكلمة المشتقة في العربية (بلا لواحق أو سوابق) لا تكاد تزيد عن أربعة مقاطع ويندر تكونها من خمس (يتعلم – يتسابق). فمعظم الكلمات التى يكونها مقطع قصير أو متوسط واحد هى أدوات نحوية، فما يقع من مقطع واحد نحو واحد بالعطف المفتوحة، ومما يقع فى المقطع المتوسط سواء أكان مفتوحاً أم مقفلاً نحو (ما، و في

ولا) ونحو (لم وعن وكم ولو) - وأما الكلمات غير الأدوات (الأسماء – الأفعال. • الخ) فيقل أن نجد منها ما تركيبه مقطع قصير واحد أو متوسط مثل (يد، ودم) و(قل – بع) – ولكن الكلمة كثيرا ما تأتي في صورة مقطع طويل واحد مثل (قال، باع – راح) أو عبد – عذر – وقهر) بسكون الآخر فيها جميعا. كما أن الكلمات (يكتب – مكتوب – يحرم – يرمى – يروح) بسكون الآخر فيها فهى تتكون من مقطعين – وأما الكلمات ذات المقاطع الثلاثية أو الأربعة أو الخمسة أو الستة أو السبعة فإنها من ذوات الملحقات الصرفية.وقد مالت العربية فى الأكثر إلى المقاطع المغلقة، بيد إنها فى اللهجات تخلصت من بعض المقاطع فى نحو (بيت) و(حوض) وهى (ص ح ص ص) وأصبحت فى العامية (بيت - حوض) (ص ح ح ص).

ثامناً : النبـــر:

الكلمات التى ننطق بها من أصوات متتابعة متفاوتة قوة وضعفا بحسب موقع الصوت، وكون الصوت من أصوات الكلمة أقوى من بقية الأصوات يسمى النبر، ويتميز بوضوح نسبى إذا قورنت ببقية الأصوات، ويكون ذلك نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتنغيم والضغط مجهود عضلى يخرج به الهواء من الرئتين فى دفعة قوته. وأما من الناحية الصوتية فإنه ينتج أثرا سمعيا عاليا يتوقف على مدى الموجات الذبذبية التى تسبب الإحساس بالصوت. وعلى مستوى الكلمات وهى تركيبات من أنساق صوتية.

فإن لها نظامها النبرى الخاص المستقبل عن نظام النبر إنسان الكبرى (الجملة)، فنحن إذ تأملنا كلمة مثل (فاعل) نجد أن الفاء أوضح أصواتها لوقوع النبر عليها – وكذلك فى (قائل) وفى الأمر منها نحو (جاهد) وفى صيغة مفعول النبر على عين الكلمة فى صيغة مستفعل النبر على (التاء). ففى العربية نوعان من النبر هما :

(أ) النبر الصرفي، وينقسم إلى نوعين بحسب قوة النطق هما (م) النبر الأولى ويقع على المقطع الأخير من الكلمة إذا كان من أنواع الطويل (قال - استقال - قل - استقل). أو من النوع المتوسط فى الكلمات أحادية المقطع كفعل الأمر (قل) وهذا هو نوعه الأول. أما نوعه الثاني فيقع على ما قبل الآخر إذا كان متوسطا والآخر متوسطا، سواء أكان المتوسط من نوع(ص ح ص)،(ص ح ح) مثل علم - سلم - عبدك - يتوفاكم قائل - جواز. أو كان ما قبل الأخير من نوع (ص ح) القصي مبدوء به الكلمة أو مسبوقا بصدر إلحاقى نحو : كتب – حسب – حرم – محترم – انجس – أما نوعه الثالث فيقع النبر على المقطع الذى يسبق ما قبل الآخر إذا كان الآخر يقع ما قبله فى إحدى الصور الآتية (ص ح + ص ح ص) مثل (ثمن – علمك – حاسبك) وكذلك فى (ص ح + ص ح ح) نحو علموا – حاسبوا.

(ب) النبر الثانوي، ومجاله فى الكلمة أضيق منه فى الجملة، ومع ذلك يوجد فى الكلمات ذات المقطعين فأكثر، فالمقطع المنبور ثانويا يمكن وجود، على مسافات محددة من النبر الأولى كما يأتي:

فمنه نوع على المقطع الذى بينه وبين المنبور نبراً أولياً مقطع آخر إذا كان الثانوي يكون مع الذى يفصل بينه وبين المنبور الأولى أحد الأنساق الآتية (علمناه -مستبقين - يستخفون - عاشرنا هم) وفى نحو (مستقيم - مستعدة - صاحبوهم) (مستحمين- يستفيدون - ما عرفناهم - محتملوهم) ومنه نوع يقع على المقطع الذى قبل المقطع المنبور أوليا إذا كان ذو النبر الثانوي طويلاً (ضالين - حاجات - مدها مات).

(٢) نبر السياق (النبرُ الدلالي). والفرق بين النبر الدلالي(السياقي) والنبر الصرفي (نبر الصيغة) ويمكن وصف نبر السياق بأنه إما يكون تأكيداً، وإما أن يكون تقريراً، حيث أن دفعة الهواء فى النبر التأكيدي أقوى منها فى التقريري كما أن الصوت أعلى فى التوكيد عنه فى التقرير، وأى مقطع فى الجملة سواء أكان فى وسطها أو أخرها يمكن أن يقع عليه هذا النبر. ويلاحظ فى نطق القرآن الكريم اختلافه نطقاً ونبراً وتنقيها وبخاصة فى نطق الأصوات (ض، ز، ح، ث، ظ، ق، ك) باختلاف البلاد العربية، ليدل ذلك على التباين بين اللهجات العربية.

تاسعاً : التنغيم :

التنغيم هو ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام وربما كان له وظيفة كونية هى تحديد الإثبات والنفي فى جملة لم تستغل فيها أداة الاستفهام (أنت محمد) ولكن كل شئ فيما عدا التنغيم يبقي فى المثال

على ما هو عليه ويمكن تقسيم التنغيم العربي من وجهتي نظر مختلفين، إحداهما شكل النغمة المنبورة الأخيرة في الجملة الكلامية. والثانية هي المدى بين أعلى نغمة أخوضها سعة وضيقا وعلى ذلك فمجموع التقسيمات هو ستة نماذج تنغمية مختلفة وهي :

الإيجابي الهابط. • الإيجابي الصاعد - النسبي الهابط - النسبي الصاعد - السلبي الهابط - السلبي الصاعد. [١]

---

(١) مناهج البحث في اللغة، ص ١٦٠ وبعدها

الفصل الثاني

تصنيف الأصوات العربية وصفاتها

تندرج أصوات العربية تحت أكثر من تصنيف وفقا لعدة اعتبارات وأهمها :

(١) **الأصوات الصامتة والصائتة :**

كان من نتائج تحليل المحدثين للأصوات أن قسموها إلى قسمين هما : الصوامت consonants وبعضهم يسميها السواكن. والقسم الثاني هو الصوائت vowels وبعضهم يسميها أصوات اللين أو العلة أو الحركات.

وفى العربية ثمان وعشرون صوتاً صامتاً إلى جانب ثلاث حركات قصيرة وثلاث حركات طويلة هى (الفتحة والألف) و(الضمة والواو) (والكسرة والياء) فيكون مجموع الأصوات الأساسية فيها هو أربع وثلاثون صوتاً والأساس الذى يقوم عليه هذا التقسيم هو أنه النطق بالصوائت يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة ثم يتخذ مجراه فى الحلق والفم بدون عوائق تعترضه بالتضييق عليه أو بانحباسه كما يحدث فى الصوامت. هذا إلى جانب أن الصوائت بصفة عامة تمتاز بدرجة عالية من الوضوح السمعى أكثر منها فى الصوامت، مع التفاوت بين هذه وتلك فى نسبة هذا الوضوح فاللام والميم والنون أكثر الصوامت وضوحاً وأقربها فى ذلك إلى طبيعة الأصوات الصائتة ولذا يسميها بعضهم (بأشباه الصوائت).

كما أن الصوائت تتفاوت ضيقاً واتساعاً، فالصوائت المتسعة كالفتحة أوضح فى السمع من الضمة والكسرة.

(٢) مخارج الأصوات :

المخرج هو موضع النطق لذى يخرج منه الصوت، وتبعاً لذلك يمكن تقسيم الأصوات وفقاً لمخارجها على النحو الآتي :

(أ) الأصوات الشفوية : وهى الباء، والميم، والواو.

(ب) الأصوات الشفوية الأسنانية: وليس منها فى العربية إلا صوت الفاء

(جـ) الأصوات الأسنانية: وهى الثاء والذال والظاء، لأن مبدأها الأسنان

(د) الأصوات الأسنانية اللثوية : وهى الدال والضاد والتاء والطاء والزاى، والسين والصاد

(هـ) الأصوات اللثوية: وهى الراء واللام والنون.

(و) الأصوات الغارية : وهى الشين الجيم والياء.

(ز) الأصوات الطبقية : وهى الكاف والغين والخاء.

(ح) الأصوات اللهوية : وليس فيها فى العربية الأصوات القاف.

(ط) الأصوات الحلقية : وهى العين والحاء.

(ى) الأصوات الحنجرية : وهى الهمزة فى العربية والهاء.

فهذه هى المخارج العشرة لأصوات العربية التى يمكن الاطمئنان إليها مع اختلاف بعضها بين وصف القدماء والمحدثين

لبعض الأصوات، فالخليل يرى أن مخارج الأصوات هى ثمانية، وسيبويه بعدها ستة عشر مخرجاً.

(٣) الأصوات المجهورة والمهموسة :

تنقسم الأصوات تبعاً لاهتزاز الأوتار الصوتية أو عدمه إلى قسمين، فالأصوات التى تهتز معها الأوتار الصوتية وتتذبذب تسمى بالأصوات المجهورة وذلك فى مقابل الأصوات المهموسة. وذلك لأن انقباض فى فتحة لسان المزمار وانبساطها عملية يقوم بها المتكلم أثناء حديثه دون أن يشعر، فعند انقباض فتحة المزمار وتنسيق ولكنها تسمح بمرور النفس خلالها فإذا أندفع الهواء خلال الوترين الصوتين وهما فى هذا الوضع يهتزا اهتزازاً منتظما والأصوات التى تصدر بطريقة ذبذبة الوترين تسمى أصوات مجهورة. ويمكن القيام باختبارات لمعرفة جهر الصوت فمنها أنك إذا وضعت إصبعك فوق الحنجرة ثم نطقت صوتاً مجهوراً كالباء (ب) تشعر باهتزاز الوترين الصوتيين كما أننا إذا وضعت إصبعيك فى أذنيك ثم نطقت به تشعر برنة الصوت فى رأسك. وكذلك إذا وضعت كفك فوق جبهتك تحس برنين الصوت وهذا الرنين هو صدره ذبذبة الوترين الصوتين، فالأصوات المجهورة فى العربية هى ثلاث عشر صوتاً وهى الباء والجيم والدال والذال والراء والزاى والضاد والظاء والعين والغين واللام والميم والنون ويضاف إليها الصوانت كلها.

أما الأصوات المهموسة فلا يهتز معها الوتران الصوتيان ولا يسمح لهما ونبين عند النطق بها، وهذه الأصوات هى اثنا عشر صوتا وهى التاء والثاء والحاء والخاء والسين والشين. والصاد والطاء والفاء والقاف والكاف والهاء. ولكن لا يعنى ذلك أن نسبتهما فى الكلام متعادلة ولكن الكثرة الغالبة فى الاستعمال مجهورة التى تصل إلى أربعة أخماس الكلام، على حين نسبة المهموسة هى الخمس.(١).

وتتميز اللغة العربية بوجود نظائر مهموسة للأصوات المجهورة، فمثلاً الدال، والذال، والزاى، والضاد، والعين، والغين) لها نظائر مهموسة وهى على الترتيب (التاء، والثاء، والسين، والطاء، والحاء، والخاء). ومنها أصوات مهموسة ولا مجهور لها مثل : الشين والصاد والفاء والقاف والكاف والهاء.

(٤) الأصوات الانفجارية (الشديدة) والاحتكاكية (الرخوة):

تنقسم أصوات اللغة وفقاً لمسار الهواء فى منطقة النطق (المخرج) إلى قسمين، قسم ينطق بها بإغلاق نقطة المخرج إغلاقاً محكماً يحبس النفس وراءه ثم ينفجر عنه دفعة واحدة، وذلك عند لنطق بالأصوات الانفجارية أو الشديدة. وهناك أصوات أخرى تنطبق فيها نقطتا المخرج انطباقاً جزئياً بحيث يسمح لهواء النفس للمرور من خلالهما دون انفجار وهذه هى الأصوات الاحتكاكية أو الرخوة، فالفاء صوت احتكاكي و الباء صوت انفجاري فى نحو (ب) و(ف).

---

(١) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٢٠ وبعدها

ويمكن تشبيه مجرى النفس بقناة تجرى فيها المياه، إذ أن مجرى القناة يختلف باختلاف طبيعة الأرض، فهي فى مكان صخري، وفى آخر جبرية، وفى ثالث طينية رخوة سهلة التآكل. ويترتب على ذلك أن مجرى القناة يضيق فى الجزء الصخري ويتسع شيئاً ما فى الجزء الجبري، ويزيد اتساعاً فى الأرض الطينية. فإذا استمعنا لخرير المياه الذى يجرى فى القناة نجده خريراً صاخباً حين يضيق المجري فى الأرض الصخرية، ثم لا نكاد نسمع له خريراً حين يسمع مجراه فى الأرض الطينية. وإذا تصورنا بناء سد يفتح ويغلق فى هذا المجرى بسرعة فإننا نسمع للماء وقتها أصواتاً انفجارية متتابعة نتيجة انحباس الماء وانطلاقه فى فترات متوالية سريعة.[١]

فالأصوات الانفجارية. كما يسميها المحدثون plosive نحبس معها الهواء فى مخارج عدة كأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا التقاء محكماً فلا يسمح بمرور الهواء لحظة قصيرة ثم ينفصل العضوان فيندفع الهواء المنحبس فجأة فيحدث ذلك الصوت الانفجاري (الكاف). فالأصوات العربية الانفجارية هى : الباء، والتاء، والدال، والطاء، والضاد، والكاف، والقاف) والجيم القاهرية من هذه الأصوات أما الجيم الفصحى فيختلط صوتها الانفجارية بنوع من الخفيف يقلل من شدتها وهو ما يسميه القدماء بتعطيش الجيم، ولذا سمى الصوت (المركب) أو (المزدوج) أما الأصوات الرخوة فعند

(١) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٢٢

النطق بها يضيق مجرى الهواء عند المخرج، ويترتب على ضيقه أن الهواء أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعاً من الصفر أو الخفيف، تتعاون نسبته تبعاً لتفاوت نسبة ضيق المجرى، فمثلاً حين يتصل أول اللسان بأصوات الثنايا، بحيث يكون بينهما فراغ صغير ولكن يسمح بمزور الهواء بسمع ذلك الصغير الذى نجده فى نطق (السين أو الزاى). فالأصوات الاحتكاكية كما يسمها المحدثون fricatives، أو الرخوة كما أسماها القدماء تتعاون فى نسبة رخاءها تبعاً لنسبة الصغير فيها، فأكثرها رخاوة وصفيراً هو السين والزاى والصاد. • وعند اتساع الفراغ بين نقطي المخرج نقل نسبة الصغير حتى يمكن تسميته حفيفاً كما فى نطق الفاء بالتقاء والشفة السفلي بالأسنان العليا تاركاً فراغاً كافياً لمرور الهواء فيحدث الهواء وقتها نوعاً من الخفيف، فالفاء وصوت رخوة وفى بعض الأصوات قد يجد الهواء طريقة إلى الخارج دون أن يحدث أى حفيف أو صفير ويلاحظ هذا مع اللام والنون والميم والراء، لذا أسماها القدماء بالأصوات المتوسطة (أى ليست انفجارية ولا احتكاكية) – وأطلق المحدثون عليها الأصوات المانعة liquids فالأصوات الرخوة فى العربية. مرتبة حسب رخاوتها هى السين والزاى، والصاد، والشين، والذال، والتاء، والظاء والفاء، والهاء، والحاء، والخاء، والعين.

ولبعض الأصوات الشديدة نظائر رخوة، فالدال نظيرها الرخو الذال والزاى.

والتاء نظيرها الرخو السين والثاء. والباء نظيرها الفاء، والطاء نظيرها الصاد، والضاد نظيرها (الظاء العامية)، والكاف نظيرها الشين، والجيم القاهرية نظيرها الجيم الشامية المعطشة، والقاف نظيرها الخاء.

ومعنى التناظر هنا هو اتحاد المخرجين بين الصوتين أو قرب المخرجين أحدهما من الآخر، ولذا نجد في بعض اللهجات العربية من يستعمل الصوت الشديد وفي مقابلة من يستعمل نظيره الرخو أو العكس نحو (ذيل: ديل) (ثوب - توب).

(٥) الأصوات المفخمة والمرققة :

تنقسم الأصوات تبعاً لارتفاع مؤخرة اللسان أو انخفاضها عن النطق بالصوت إلى قسمين، أما الأول فيسمى الصوت مفخما أو مطبقا.

نظراً لارتفاع اللسان تجاه الطبق، وهو الجزء الرخوة من سقف الحنك والأصوات المفخمة في العربية هي الصاد والضاد والطاء والظاء فهذه الأصوات وان كان مخرج الثلاثة الأولى من الأسنان واللثة ومخرج الرابع من بين الأسنان فان مؤخرة اللسان تعمل معها فالتفخيم وصف لصوت لا ينطق في الطبق وإنما ينطق من مخرج آخر وتصحبه حركة عضلية في مؤخرة اللسان أما القسم الثاني فيكون عند انخفاض مؤخرة اللسان ويسمى (مرققا) أو غير

مطبق. وبعض الأصوات يرقق ويفخم، فاللام تفخم فى لفظ الجلالة (الله) ولكنها ترقق عندما يسبتها كسرة أو ياء (يهدى الله - بالله) والراء ترقق عند تكرارها وتفخم عند فتحها مكرره و القدماء فيضيفون لحروف التفخيم الأربعة السابقة (الغين والخاء والقاف) ولكن الأربعة مفخمة بدرجة أكبر، والقدماء يجمعونها جميعا (هذه السبعة) تحت مصطلح (الاستعلاء)[١].

ويؤثر اتساع حيز الرنين وجهاز النطق فى تفخيم الصوت، فمثلاً تجد كل آله تعطي أنغاماً – تكون مزودة فى كثير من الأحيان بما يسمى صندوق الرنين، وصندوق الرنين فى العود يختلف عنه فى الكمان أو القانون. والبيانو فيه أشكال وأحجام تختلف صناديق رنينها فى الاتساع فمنها الرأس البسيط ومنها الأفقي النصفي، ومنها الأفقي الكبير الكامل والصوت الإنساني يرن فى داخل أعضاء النطق ((التجويف الفمى أو الأنفي)) فإذا ضاق حيز الرنين أى صغر حجم الفراغ الهوائي الذى يرن فيه الصوت جاء الصوت مرفقاً أو منخفضاً، أما إذا اتسعت التجاويف وكبر حجم الفراغ الهوائي فإنه يسمع مفخماً أو مستعليا، كالفرق بين (فذ – فظ) فكلاهما بين أسناني احتكاكي مهموس، إلا أن الذال مرفق والظاء مفخم، وكذا فى (صار - سار) و(نبت، نبط)[٢] .

---

[١] ابنى الجرزى، النشر فى القرءات العشر، ٢٠٢/١

[2] د. حسن ظاظا، كلام العرب، من قضايا اللغة العربية ص ٨،٩ دار النهضة، بيروت، ١٩٧٦

وعلى كل، فقد عرفت العربية مجموعة من الأصوات ينطبع أثرها في السمع مفخماً في مقابل أخرى مرققة فالطاء مفخمة والتاء مرققة. والتفخيم ناشئ عن وضع عضوي أدركه القدماء حين قالوا بأن اللسان ينطبق على الحنك الأعلى آخذا شكلاً مقعراً، بحيث تكون النقطة الأمامية من اللسان هي مخرج الصامت المرفق، وتكون النقطة الخلفية منه هي مصدر التفخيم في حالة الإطباق، فصوت الصاد يتحقق بوضع اللسان في جزئه الأمامي موضوع السين ثم يرتفع جزؤه الخلفي ليأخذ شكلاً مقعراً. والطاء فبدأ من نقطة التاء ثم يطبق اللسان بشكله المقعر. والظاء حيث مخرج الذال والضاد من مخرج الدال.

والفرق بين الإطباق والتفخيم أن الإطباق وصف عضوي للسان وأن التفخيم هو الأثر السمعي الناتج عنه. ويرد وصف الاستعلاء لبعض الأصوات الحلقية وهي القاف والغين والخاء - كما يقول القدماء - وفيها يرتفع اللسان بجزئه الخلفي نحو اللهاة ليخرج الصوت غليظاً مفخماً ولكن دون مبالغة في تغليظ النطق.

الأصوات الصائتة vowels

والصوائت لها عدة مسميات، فقد تسمي بالأصوات اللينة، أو الطليقة أو أصوات المد أو المصوتات(١)، أو أصوات العلة، أو الحركات، أو الأصوات المتحركة. وعلى كل فالصوائت نوعان قصيرة كالفتحة والكسرة والضمة، والطويلة وهى الألف والياء والواو. " وقد سجل المحدثون أن الفترة الزمنية لإنتاج الحركات القصيرة تساوى ٣٠٠ دورة / الثانية، بينما تصل إلى ٦٠٠ دورة / الثانية مع الحركات الطويلة"(٢).

ويعرف دانيال جونز D.jones الصوائت أو الحركات بقوله: " أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من البلعوم والفم دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلاً يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً" (٣).

بيد أن بعضهم يشير إلى أن هناك حركات مهموسة رداً على القول السابق بأنها مجهورة يقول : " اشترط جونز فى تعريف الحركة أن تكون مجهورة، وسبب هذا الشرط أن الحركة صوت وتتدخل عند النطق به أعضاء النطق العليا على الإطلاق أو تتدخل تدخلاً لا يحدث احتكاكاً مسموعاً وعلى ذلك فلولا الجهر الذى هو تدخل الأوتار الصوتية لمر الهواء من الرئتين إلى الخارج دون تدخل

---

(١) ابن جنى، سر الصناعة ١٨/١، ١٧
(2) د. عبد الجليل عبد القادر، الأصوات اللغوية، ص ١٩٧
(3) D. jones , An outline , 79

يذكر، تماما كما يحدث عند الزفير، وقد قال بضرورة الجهر في الحركات، حتى تكون الحركة صوتا مسموعا ولا تكون مجرد زفير، ولكن شرط جونز هذا لا مبرر له. وفي اللهجة المصرية مثلا يمكن مقارنة الكلمة (سك)، بمعنى (اقفل) والكلمة (مقاسك) وسنلاحظ أن فتحة السين في (مقاسك)، مهموسة، بينما في (سك) مجهورة، وما دام هذا الفرق واقعيا فلا بد للواصف من اعتباره، القول حينئذ بوجود فتحة مهموسة" [١].

ويؤكد ذلك أبروكرومبي بقوله " عادة ما يفكر في الحركات على أنها مجهورة أساسا " ولكن قد تسمع الحركات مهموسة في لغات كثيرة.. ودونما ذبذبة للأوتار الصوتية" [٢]

مع ذلك فالصفة العامة في الحركات - مع ذلك - أنها جميعا مجهورة، وإن جاءت في مهموسة في بعض الأحيان فالجهر غالب عليها" ويصف علماء الأصوات (الفتحة) بأنها صوت متسع في مقابل الضمة والكسرة.

فكل منها صوت ضيق، وقد أدرك علماء العربية القرابة بين الكسرة والضمة من جهة، وياء المد وواوه في جهة أخرى يقول ابن جني " إن بين الياء والواو قربا ونسبا، وليس بينهما وبين الألف، ألا

---

(١) د. عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، ص ١٧٦

(2) مبادر علم الأصوات العام ص ١٠٩، ١٩٨٨

تراها تثبت فى الوقف فى المكان الذى تحذفان فيه، وذلك قولك : هذا زيد، ومررت بزيد ثم نقول ضربت زيدا"[١].

هذا إلى أن بعض الصيغ قد جاءت مرة بالضم ومرة بالكسر، " وقد استعمل فيه الوجهان قولهم : ينفِر، ينفُر ،يشتِم، يشتُم، فهذا يدلكم على جواز الوجهين وأنهما شئ واحد، لأن الضمة أخت الكسرة"[٢].

والفرق بين الحركات القصيرة والطويلة فرق فى المدى الذى يستغرقه طول الحركة، والعلاقة بين هذه الحركات من حيث القصر والطول معروف عند القدماء حيث يقول الخوارزمي:" الرفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين وأو ناقصة وكذلك الكسر وأخواته، عندهم ياء ناقصة. والفتح وأخواته عندهم ألف ناقصة. وأن شئت قلت: الواو المحدودة اللينة ضمة مشبعة والياء المحدودة اللينة كسرة مشبعة، والألف المحدودة فتحة مشبعة.."[٣].

وطول الحركة أو قصرها ليس محدداً بزمن معين فى أية لغة وإنما هو أمر نسبى وهو سرعة الأداء وبطئه " فالصوت الطويل هو الذى يكون أطول من غيره فى نفس اللغة، ولو كان هذا الصوت الطويل ينطق أقصر منه أحيانا "[٤].

---

[١] سر الصناعة، ١٠ / ٢٣
[2] المزهر ١/ ٢٠٧، تصحيح الفصيح، ١٠٥
[3] الخوارزمى، مفتاح العلوم، ص ٣١
[٤] د. عبد الرحمن ايوب، أصوات اللغة

وعلى ذلك فإن إشباع الحركات القصيرة ينتج عنه حركات طويلة فيما يعرف عند القدماء باسم (مطل الحركات) أى تطويلها. والطول والقصر موجود أيضا فى الصوامت فالصوت المضعف أطول من غير المضعفة. وهذه الحركات تأتي مفخمة أو مرققة أو بين بين، فمثلاً الفتحة فى (صبر) مفخمة، وفى (سبر) مرققة، وفى قيام (بين بين). والكسرة فى (صيام) مفخمة وفى (نيام) مرققة، وفى قيام (بين بين) وكذلك الضمة فى (صم) مفخمة، وفى (دم) مرققة، وفى (فم) بين بين فالحركات إذن تتفاوت تفخيماً وترقيقاً كما تفاوتت طولاً وقصراً، وكما تفاوت اتساعاً وضيقاً، ولكل موقعها المناسب لها، فالألف المفخمة فى (طاب) لا تقع محل المرققة فى (تاب) أو العكس. ولا نستطيع أن ندعى أن الحركات العربية متحدة الصفة والنوع، فمع أن بعض القدماء قد أشاروا إليها إلا أن القدماء بصفة عامة لم يعنوا بها عنايتهم بالصوامت، فقد اعتبروها عارض يعرض للصوامت، فهى ذلك تابعة لها وليست مستقلة عنها، فأصول الكلمة العربية من الصوامت والحركات أصوات ثانوية فى الصيغة أو الوزن، وذلك لأن العربية الأولى لم تكن فيها رموز مستقلة للحركات. وكانت قبل أبى الأسود الدولى والخليل تستنتج بواسطة السياق. ومع ذلك لم تزدد عناية القدماء بها، مع أن الحركات عنصر رئيسى فى كل اللغات، وفى صياغة كلماتها، إذ يستحيل أن تصاغ كلمة واحدة بدونها. فمع أن ابن جني قد أشار فى (سر الصناعة) إليها بقوله :" اعلم أن الحركات أبعاض الحروف المد واللين وهى الألف والواو والياء، فكما أن هذه

الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهى الفتحة والكسرة والضمة"[١] بيد أن القدماء " قد ضلوا الطريق السوى حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد فقد قالوا مثلاً أن هناك فتحة على التاء فى (كتاب) وكسرة تحت الراء فى (كريم) وضمة فوق القاف من يقول !!. • " فالتاء فى كتاب محركة بألف المد وحدها . ويظهر أن الكتابة العربية فى صورتها المألوفة. • قد جعلت القدماء يتوهمون وجود حركات قصيرة فى مثل هذه المواضع. ولذلك توهم ابن جني فى اسر الصناعة، أن هناك فتحة مما له نحو الضمة قبل ألف التفخيم فى كلمة (الصلاة) وعدها نوعا فرعيا من أنواع الفتحة. • " [٢].

وعلى كل فإن هذه الحركات تتفاوت بين الفصحى واللهجات، فالفصحى بها ثلاث حركات قصيرة قد تمد، إلا أن اللهجات تزيد فيها هذه الحركات التى يمكن اعتبارها الحركات (الأصلية) ومنها حركات (فرعية) تتكون من مزيج خاص من بعض هذه الحركات الأصلية. فإذا تصورنا أن الفتحة الصريحة توجد فى رأس مثلث، وأن الضمة توجد فى الزاوية اليمنى من قاعدته، والكسرة فى الزاوية اليسرى فإننا نستطيع أن نستخلص من هذا المثلث ما يلي :

(١) على ضلعه الأيمن بين الفتحة والضمة توجد الأمانة المضمومة كما نقول (يوم) بإمالة مضمومة بدلاً من فتح الياء وسكون الواو كما الفصحى، وهو ما يعرف عند المحدثين باسم الصوت

---

(١) سر الصناعة، ١/ ١٩

(٢) د. إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية، ص ٣٨

المزدوج[1] وهذه الضمة الممالة تتأرجح بين طرفي الضلع قرباً من الفتحة أو الضمة وبعداً عنهما.

(٢) على الضلع الأيسر بين الفتحة والكسرة توجد الإمالة المكسورة، والتى أشار إليها القدماء، وتعني الاتجاه بالفتحة ناحية الكسرة، وبالألف ناحية الياء. كما ينطبق كلمة (بيت) فى العامية، فبدلاً من الصوت المزدوج وهو فتح الباء وتسكين الياء وجدت الألف المحالة. وهذا قد أشتهر عند قراء القرآن الكريم فى إمالتهم كلمة (مجراها) فى قوله تعالى (بسم الله مجراها ومرساها)[2].

(٣) وعلى الضلع الأسفل بين الضمة والكسرة يوجد ما يسميه النجاة بالإشمام،وهو مزيج من الضمة والكسرة فى حركة واحدة، فمثلاً عند بناء الفعل الأجوف الماضي للمجهول نحو (باع : بيع : بوع) وكذا (قال : قيل : قول) ففيه ثلاثة أوجه هى : إخلاص الكسر وقيل، وإخلاص الضم (قول) نحو : ليت شباباً بوع.٠٠ وهى لهجة بنى أبير وبنى بنى فقعس وهما من فصحاء أسد، ومنها الإشمام أى الإتيان بحركة بين الضم والكسرة ولا يظهر ذلك فى الخط، وبها قرني قوله تعالى (قيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء) بالإشمام فى قيل وغيض) وهذا الإشمام واقع فى حالات الحركات الطويلة والقصيرة على السواء.

---

(1) أنظر : العربية الفصحى، تأليف الأب هنرى فليش اليسوعي، ص ٣٦ قريب وتحقيق د. عبد الصبور المطبعة الكاثولوكية، بيروت، ١٩٦٦

(2) هود، الآية ٤١

(٤) المزج بين الحركات الثلاثة الأصلية فى حركة واحدة فى حركة واحدة قصيرة تكون فى وسط المثلث، وهى الحركة التى تلون بها همزة الوصل عندما نقول نحو (أكتب وأضرب).

* تتأثر الحركات بالصوامت التى تجاورها، ولا سيما الأنفية منها كالميم والنون فيصيبها لذلك بعض الأنفية كما فى (ناب - مال)، على حين يعيبها حركة فموية خالصة فى نحو (دار وفات) ويتجلى أثر الأنفية فى القراءة القرآنية فى حالة الإخفاء بخاصة، وهى حالة يقع فيها الصامت الأفقى (النون) ساكنا بعد حركة قصيرة بشرط أن يكون الصامت التالي للنون أحد خمسة عشر حرفا التاء، والثاء، والجاء، والدال، والذال، والزاى، والسين، والشين والصاد والضاد، والطاء، الظاء، والفاء، والقاف، والكاف، ففى نحو (أنت الإنسان فى عنفوانه) فهى مسبوقة بفتحة، ثم بكسرة، ثم بفتحة، وهذه الحركات الثلاث تمتزج بألفية متوسطة تختلط بفموية حتى يكاد الصوتان (النون + الحركة) يكونان حركة أنفية طويلة، كما سبقت الإشارة إلى أن هذه الحركات تأتي مفخمة، ومرفقة وبين بين وعلى ذلك فالعربية تعرف تسع حركات قصيرة، وقد تكون طويلة فيصير لدينا ثماني عشر حركة. ولكن أحد المحدثين يشير إلى أن اختلاف هذه الحركات لا يؤثر فى الدلالة [1] بيد أننا لا نقول ذلك فإذا كان تأثير الصوامت على كل من الكسرة والضمة ضئيل، فإن الفتحة يظهر معها هذا التأثير واضحا جليا. فالتفخيم له أثر بارز فى

---

[1] د. كمال بشر، علم اللغة، ١٩٢ – ١٩٥، إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ٤٠، ٤١

اختلاف المعنى حين يكون بالفتحة الطويلة وفى العامية القاهرية (رائد) فالترقيق يعنى (نائم)، ويعنى رتبة عسكرية. وفى الفصحى يصحب أن قل المرققة محل المفخمة في نحو (تاب وطاب) وعلى ذلك فإننا نجد فى العربية أربعة حركات قصاراً ومثلها طولاً كما يلى.

(١) فتحة مرققة كما فى (كتب) وهى فتحة تضف واسعة أمامية تقع بين حركتي الكسرة المحالة من ناحية والفتحة الأمامية الواسعة من ناحية أخرى.

(٢) فتحة مفخمة فى مثل الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف والغين والخاء والراء، وكذلك اللام فى لفظ الجلالة (الله) إذا كان الانتقال إليها من فتح أو ضم، وهى فتحة خلفية واسعة.

(٣) كسرة خالصة (١) (٢) ضمة خالصة (au)

هذه هى حركات الفصحى وقد يضاف إليها حركة الكسرة المحالة إمالة شديدة أو إمالة خفيفة وغيرها وذلك شائع فى الفصحى القديمة، وفى اللهجات الحديثة والقديمة، فالإمالة بالكسر مازالت واضحة فى لهجة اللبنانيين الآن.

الازدواج والأصوات الصائتة:

الأصوات الصامتة يمكن أن تحمل حركة أو تنفصل عنها دون غموض أو لبس فمثلا (كتب) نجد أن لكل صامت استقلاله عن حركته. والواو والياء يسلكان نفس مسلك الصوامت عندما يتحملان حركة ما أو ينفصلان عنها، فالواو في (وعد) مفتوحة بيني في (أوعد) ساكنة، ولكي ينطق بها يوضع اللسان موضع الضمة أولاً ثم ينطقها متصلة بالفتحة حيث ينتقل إليها في عملية نطق واحدة فيتكون ما يسمى بشبه الحركة وهو الواو في النصف الأول من النطق، لذا لا يتصور انفصال هذه الفتحة عن الواو، لأنها حينئذ ستكون مجرد ضمة تستدير معها الشفتان ثم لا تنفرجان. وقد يعكس ترتيب الحركتين فيكون المنطوق واو ساكنه يصنع الناطق لسانه موضع الفتحة أولا ثم ينطقها متصلة بالضمة في عملية نطق واحدة كما في (أوعد). وكذلك الحال في الياء في نحو (ينع - وأينع) فإنهما يوصفان بأنهما شبه حركة أو قل (شبه صامت) لأنها يتحملان الحركة أو عدمها كما يتحملان الحركة أو عدمها كما يتحملان الصامت وهذا ما يعرف بالأصوات المزدوجة عند المحدثين. ولم يفرق علماء العربية بين الواو الياء.عندما يكونا أنصاف حركة - وعندما يكونا حركة طويلة أو قصيرة لأنهم بنوا قواعدهم على الكتابة ورموزها فخدعهم ذلك.

* هذا عن الحركات في العربية، أما الشائع بين القدماء في اعتبار السكون أخف الحركات. أو قولهم خفة السكون وثقل الحركة في

تبريرهم لبناء الكلمة فى نحو قولهم (والأصل فى المبنى أن يسكنا) وفى تبريرهم بحذف الحركة الطويلة، فالحركات لديهم أربعة أحدها السكون[1] وكل ذلك غير صحيح فالسكون ليس صوت لغويا فليس له أى أثر سمعى، وعلى ذلك فليس السكون حركة بل هو انعدام حركة أما فريث فيرى أن السكون ذو وظيفة تقارن بوظائف الحركات، إذ أنه له دور على المستوى الوظيفى لا النطقى، فالسكون له قيم لغوية على المستوى الصرفى أو النحوى، كما فى حالة الجزم به أو البناء به وكذلك يكثر إبدال الحركة سكونا بفعل اللهجات أو العكس، كما يحدث من إبدال حركة من حركة أخرى (مسكَن)(مسكِن) (الرغْب أو الرغُب) فهزيل قديما تكسر حرف المضارعة كما فى اللهجات الحديثة.

---

(1) ابن هشام، التصريح على التوضيح ١/ ٥٩ – الحضرى ٣٢/١، الأشمونى ١٥٦/٤

الأصوات الصامتة

تمثل الصوامت لعدد الأكبر بين الأصوات العربية، وعلينا أن يتوقف أمام كل صامت منها، لبيان صفاته وتطوره، ولقد رأينا تقسمها تبعاً لمخارجها، فنبدأ بالأصوات الحنجرية وننتهي بالشفوية، والصوامت لذلك تقع فى عشرة مباحث.

المبحث الأول: الصوتان الحنجريان الهمزة والهاء

أولاً: الهمـــــزة

(١) الخلط بين الهمزة والألف:

يخلط أكثر نجاة العربية بين الهمزة والألف رغم اختلافهم صوتياً، فالهمزة من الأصوات الصامتة، ومن حيث مخرجها فهي صوت حنجري، أو كما عبر سيبويه بأنها من أصوات أقصى الحلق[(١)]

ومن حيث وضع الوترين الصوتيين فإنها صوت لا مجهور ولا مهموس من حيث مجرى الهواء فهى صوت (انفجاري)، لأن الوترين قد ينطبقان انطباقاً تاماً يسمح بمرور الهواء، ثم ينفرج هذان الوترين فيخرج ذلك الصوت الانفجاري نتيجة اندفاع الهواء المنحبس وهذا الصوت هو همزة القطع فى العربية. هذا عن الهمزة أما الألف فكما مرّنت لا تطلق بالمعنى العلمي إلا على الألف المعربة أو التى تسمى:

---

(١) الكتاب، ٤/ ٤٣٣ وانظر د. كمال بشر، علم اللغة العربية، الأصوات، ٨٨، ٨٩

صوت صائت طويل. وإنما يرجع الخلط بين الهمزة والألف إلى اشتراكها فى التسمية كما فى (سأل - سال)، وكذلك لتشابه الهمزة والألف فى كتابتهما أحيانا، وكذلك لأن الهمزة المفتوحة أو الساكنة وقبلها فتح قد تقلب ألفا فى نحو (فأس - فاس) (ملأ - ملا) وذلك واضح فى اللهجات القديمة والحديثة على السواء. فسيبويه يسمى همزتي الوصل والقطع (ألف الو الوصل والقطع) ويسمى همزة الاستفهام (ألف الاستفهام)[١] ولم يسلم من هذا الخلط المتأخرون منهم، فابن هشام يطلق اسم : حرف الألف، ثم تجده يذكر معاني الهمزة [٢].

والظاهر فى كتابة بعض كلمات القرآن فى ترك الألف المدية فى بعض الكلمات يؤكد أن ألف المد لم يكن لها علامة كتابة فى المرحلة المتقدمة فى تاريخ العربية، شأنها فى ذلك شأن الحركات القصيرة، بل الطويلة أيضا فى نحو (ذلك الكتب)[٣] (يوم يدع الداع)[٤] (مهطعين إلى الداع)[٥] فما يدل على أن الكتابة العربية تأرجحت بين أسلوب قديم يهمل الحركات فى الكتابة أو أسلوب جديد بدأ يهتم بها فى الكتابة. ويبدو أن هذه البلبلة فى الكتابة قد انعكست بشكل واضح على نظرة القدماء للهمزة من الناحية الصوتية، فالخليل

---

(1) الكتاب، ٩٩/١، ١٨٧/٣، ١٤٤/٤

(2) ابن هشام، المغنى، ص ١٣

(3) البقرة / ١

(4) العلق / ١٨

(5) القمر / ٦

اعتبر الهمزة حرف علة وساواها بها فقد قسم أبجديته الصوتية من حيث المخارج إلى قسمين، أحدهما خاص بالحروف الصحاح وبدأ بصوت العين " وختمه بالباء والميم. والثاء يشمل الحروف الأربعة (الألف والواو والياء والهمزة)[1] وعلى كل فمازالت الألف تدل على مدلولين مختلفين، أحدهما الهمزة والثاني الفتحة الطويلة. • حتى بعد أن ابتكر الخليل رأس عين (عـ) فأخذت هذه العلامة الجديدة تلعب دورها فى تصوير صوت الهمزة، ويبدو أن اختياره لهذا الرمز هو إحساسه بقرب مخرج الهمزة من مخرج العين، فى محاولة للتعريف بين هذين الصوتين. ويمكن أن نستنتج أن الهمزة كانت تكتب دائماً بالألف. أما بعد ابتكار الرمز الجديد فقد صارت الهمزة تصور بهذا الرمز فى أشكال مختلفة (على ألف، أو ياء أو واو أو على السطر أو على شبه ياء).

وهذا يؤكد أن الهمزة كانت موجودة فى العربية من عرفنا العربية، وكان القدماء يستعملون كلمة (النبر) أ، (الهمز) فيما نعرفه باسم (الهمزة) أو الوقفة الحنجرية glottal stop، لكن ابتكار الرمز (عـ) لم يمنع الناس من إطلاق الألف على الهمزة والفتحة الطويلة.

وكان إطلاقه على الهمزة بطريق الأصالة، وعلى الفتحة الطويلة بطريق التوسع والمجاز، أو على سبيل (التجوز).

---

(1) القمر / ٧

والأولى أن تسمى الهمزة كما هي عليه في النطق فعلاً فتقول إن أول الأبجدية العربية همزة، ونقول همزة الاستفهام والنداء، والتسوية وهمزة الوصل والقطع وهكذا وهذه الهمزة ممكن أن تأتي في أول الكلمة ووسطها، آخرها (أمل - سأل - ملأ) - أما كلمة الألف فيجب أن تطلق على الألف اللينة أو العلة أو المد وموقعها بعد اللام في حروف الهجاء. أو تطلق الألف على الاثنين معا ولكن بوضعها بأنها يابسة أو مهموزة في حالة الهمزة. وبوضعها ألف مد حين نقصد الألف اللينة أو العلة، وألف المد هذه لا تأتي في بناء الكلمة إلا في وسطها أو آخرها (دام – سعى – دعا).

(٢) الهمزة بين الجهر والهمس:

الهمزة صوت حنجري انفجاري، وهنا راعينا موضع النطق، وراعينا حالة ممر الهواء عند النطق، إلا أن هناك جانب ثالث ينظر إليه بعين الاعتبار عند النظر في كل الأصوات، وهو الجهر أو الهمس، أو ملاحظة وضع الوترين الصوتيين في حالة ذبذبتهما أو عدم ذبذبتهما، فإذا مر الهواء المندفع من الرئتين خلال الوترين بحيث يجعلها يتذبذبان سمي الصوت المنطوق مجهوراً voiced - وإذا مر دون أن يقابله اعتراض بسبب انفراجهما سمي الصوت مهموساً voiceless. أما في نطق الهمزة فإن ومنع الوترين الصوتيين لا يمكن وصفه بالذبذبة أو عدمها فالوتران مغلقان إغلاقاً تاماً، فلا ذبذبة ولا يسمح ذلك بخروج الهواء من بينهما وحينئذ نقول إن صوت الهمزة لا

هو مجهور ولا هو مهموس. [1] وبعضهم يرى أن الهمزة صوت مهموس " وتأتى جهة الهمس فى هذا الصوت من أن إقفال الأوتار الصوتية لا يسمح بوجود الجهر " الهمس يعنى عدم التذبذب ". على حين يرى علماء العربية كسيبويه وابن جني أن الهمزة مجهور، ولعلهم وصفوها متبوعة بحركة فأحسوا الجهر بسبب الحركة، أو ربما وصفوا الهمزة المسهلة. أو لم يدركوا وظيفة الوترين الصوتين وبخاصة عند نطق الهمزة.

(٣) الهمزة بين التحقيق والتخفيف:

أشار القدماء إلى أن من العرب كبنى تميم من يميلون إلى تحقيق الهمزة فى مقابل الحجازيين الذين يميلون إلى تسهيلها كما فى اللهجات العربية الحديثة. فالهمزة إذن تتغير نطقاً، والتخفيف فى الهمزة لهجة، ويبررون ذلك بأن الهمزة " حرف ثقيل إذ مخرجه أبعد من مخارج الحروف، لأنه يخرج من أقصى الحلق، فهو شبيه بالتهوع المستكره لكل أحد بالطبع، فخففها قوم، وهم أكثر أهل الحجاز وخاصة قريش، روي عن أمير المؤمنين على : فى أنه قال: (نزل القرآن " بلسان قوم وليسوا بأصحاب نبر / و لو لا أن جبريل

---

[1] د. السعران، علم اللغة، ١٧١، د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٧٣ د. تمام حسان، مناهج البحث فى اللغة، ص ٩٧، د. عبد الرحمن أيوب، الأصوات اللغوية، ص ١٨٤

نزل بالهمزة على النبى عليه السلام ما همزتها) وحققها آخرون وهم تميم وقيس "[١].

فالتخفيف فى الهمزة لهجة وقد تنبه ابن جني لذلك بقوله :" وإنما كتبت الهمزة واوا مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز فى التخفيف، ولو أريد تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألفاً على كل حال،يدل على صحة ذلك أنك إذا أوقعتها موقعاً لا يمكن فيه تخفيفها، ولا تكون فيه إلا محققة ولم يجر أن تكتب إلا ألفا، مفتوحة كانت أو مضمومة أو مكسورة، وذلك إذا وقعت أولاً : نحو: أخذ، وأخذوا وإبراهيم. فلما وقعت موقعاً لان فيه من تحقيقها اجتمع على كتبها ألفاً البتة، وعلى هذا وجدت فى بعض المصاحف (يستهزأون) بالألف قبل الواو. ووجد فيها (وإن من شيأ إلا يسبح بحمده) بالألف بعد الياء، وإنما ذلك لتوكيد التحقيق "[٢] وعلى اية حال، فإن عملية نطق الهمزة تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد عما هو عليه فى الأصوات الأخرى، مما جعل القدماء يتصرفون فيها بالتخفيف حيناً أو بإبدالها من صوت عله مناسب لحركتها أو لحركتها أو لحركة ما قبلها أن كانت ساكنة أو حذفها، أو تسهيلها بين بين، ولذا كتبوها بحسب ما تخفف به وقد مالت كثير من اللهجات العربية القديمة والحديثة إلى تخفيفها وعدم نطقها محققه، فالهمزة المشكلة بالسكون قد تسقط من الكلام ويستعاض فى

---

[١] أحمد بن على مسعود، مراح الأرواح فى علم الصرف، وشرحه ابن كمال باشا ص ٩٨، ط ١٩٣٧

[2] سر الصناعة، ٤٦، ٤٧

عنها بإطالة صوت الحركة قبلها وهذا مما جعل للهمزة أحكاما مختلفة في كتب القراءات القرآنية، إذ ينطلق بعض القراء (يومنون – ذيب – راس) وكذا الهمزة المتحركة وقبلها متحرك نحو (يستهزون).

وعلى العموم فقد لجأ القراء لوسائل عدة لتخفيف الهمزة منها : إسقاطها والتعويض عنها بإطالة الحركة قبلها، وأحيانا لا يعوض عن سقوطها بشيء. أو تسهيل الهمزة المتحركة أي نطقها بين بين فلا هي محققة ولا هي صوت لين، أمام الهمزة الساكنة فلا تقرأ بين بين. على أنه من القراء من يجعلون تلك الحركة التي خلفتها الهمزة بعد سقوطها من النطق حركة مهموسة، فتسمع حينئذ كما لو كانت نوعاً من الهاء نحو (أهعجمي). .

ولا شك أن توالي همزتين أشق ويحتاج إلى جهد عضلي مضاعف، ولها أحكام في كتب القراءات وأهمها:

(أ) إذا كانت الهمزة الثانية ساكنة سقطت من الكلام وعوض عنها بإطالة حركة الأولى (آمن – أوذى – إيت)

(ب) إذا تحركت الهمزتان فإن بعضهم ينطق بالثانية مسهلة والآخرون أطالوا حركة الهمزة الأولى ليصبروا لنطق بالثانية سهلاً أو أنهم يدخلون ألفا بين الهمزتين نحو (آ أرباب متفرقون)[١] (أيلاه مع الله)[٢] (يكون لكما الكبريا) [٣]

---

[1] يوسف / ٣٩
[2] النمل / ٦١
[3] يونس، ٧٨

* وإذا كان من اللهجات من يميل إلى تخفيف الهمزة المحققة فإن منها من يميل إلى همز بعض أصوات اللين أحيانا ويؤثرونها على الحركات الطويلة على النقيض مما سبق ذكره في التخفيف، فيهمزون ما ليس مهموزاً حيث أشار صاحب لسان العرب إى قول العرب في الوقف " للمرأة : قولي، وللرجلين : قولا، وللجمع قولوْ. فإذا وصلوا للكلام لم يهمزوا ويهمزون (لأ)[1] إذا وقفوا عليها. كما نقول في العامية (لأ) وإذا وقفنا ربما تأتى بهاء السكن (لأه) وذلك للتخلص من الحركة الطويلة في آخر الكلمة. وبعض العرب يهمز همزة توهم كما روى الفاء، إذ يهمزون المهموز، قال سميت امرأة تقول : رثات زوجي. • أى رثيت بل إن الفراء يشير إلى أن أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب ويهمزون (البريئة والنبئ والذريئة) أى البريئة والنبئ والذرية. وقال أبو زيد سمعت رجلا من بنى كلب يقول : هذه دأبة وهذه امرأة شأبة. (أى دابة وشـ). وعند هذيل يؤثرون الهمز في أول الكلمة نحو (ثم استخرجها من إعاء فيه)[2] وفي وسطها كما في قراءة (وأني لهم التناؤش)[3] وكذا في قراءة ابن مسعود (ولا تأمموا الخبيث)[4].

(٤) **همزة الوصل:**

يقول نجاة العربية إنه لا يمكن أن نبدأ بساكن، كما أننا لا نقف على متحرك. فإذا كان الحرف الأول ساكناً فلا بد من اجتلاب صويت

---

(١) اللسان، ١ / ١٧، سر الصناعة ١/ ٨٤

(٢) يوسف / ٧٦، وانظر شواذ القراءات ص ٧٢

(٣) سبأ / ٥٢

(٤) البقرة / ٢٦٧

سمى (همزة الوصل)، ليتوصل إلى النطق بالسكان فى أول الكلام، وهذه الهمزة تظهر فى أول النطق بالكلام وتسقط فى وصلة[١] وهذا راجع إلى طبيعة اللسان العربى الذى يأبى الابتداء بالساكن مع أن ذلك عملياً ليس مستحيلاً كما فى اللغات الأخرى كالإنجليزية فى نحوه (station) بل أن بعض اللهجات العربية كما المغرب من يبدأ به فى نحو (ضرب – سمع) بمعنى (اضرب) و(أسمع). وفى لهجة القاهرة نحو (فهمت).

وهمزة الوصل هذه تحرك إما بالكسر أو الضم أو الفتح، فأما فتحها ففى أول (أل) التعريف، وأما ضمها إذا كان ثالث الفصل مضموماً نحو (انطلق واستخرج) فى الثلاثى المزيد وفى نحو (أمرؤ وفى نحو (أعز) بخلاف (أمشوا) ورجحان الضم فى (أغزى) ورجحان الكسر فى (اسم) وعلى كل فإن همزة الوصل تأتى فى أول (أل) التعريفية، وفى أول الأسماء (ابن وابنه، وامرؤ، وامرأة، واثنان، واثنتان، واسم واست وابنم وكذا تأتى فى أول الأفعال الخماسية والسداسية (أنفعل وافتعل، وأفعل، واستفعل وغيرها. نحو (انطلق – احتمل – احمر، واستفهم) وكذا فى مصادرها والأمر منها. وتأتى فى الأمر (افعل) نحو (اعلم واسمع).

أما أهم الفروق بين همزت الوصل والقطع فهى، همزة الوصل تثبيت فقط فى ابتداء الكلام وتسقط فى أثنائه أم همزة القطع

---

[١] حاشية الخضري، ٢ / ١٧٩

فإنها تثبت دائماً وتظهر نطق وكتابة. وعند دخول (أل) التعريف على همزة الوصل تسقط وتكسر اللام قبلها في نحو (الاستغفار) لاجتماع ساكنين – أما إذا دخلت (أل) التعريف على همزة القطع فإنها تثبت على حركتها نحو (الأخ - الأخت - الإكرام) وتظل لام (أل) ساكنة. همزة الوصل تسقط في التصغير مما يدل على زيادتها نحو (بني، وسمي، مرئي، في تصغير (ابن واسم وأمرؤ) أما همزة القطع فتبقى في التصغير نحو (أذينة، أخي، وأبي).

الهمزة والصيغ العربية:

الهمزة إحدى حروف المباني التي تتألف منها بنية الكلمة العربية، وعلى ذلك تقسم إلى ثلاثة أقسام فهي إما أصلية في نحو (أسد - بأس - ملأ) وإما مبدلة من أصوات اللين، الألف والواو، والياء. فهي تبدل مع الألف في رأي النحاة في صيغة (فعلاء) نحو حمـ ء وأصلها حمرا وزيدا قبلها ألف المد فأبدلت همزة. وتبدل جوازاً من الياء في النسب إلى راية وغاية فيقال (رائي وغائي) والأصل رايي بثلاث ياءات.

كما أنها تأتي مبدلة هن الواو الياء في نحو (سماء ورجاء وبناء وظباء) وكلها كلمات جاءت الواو أو الياء آخر الكلمة وقبلها ألف زائدة والأصل (سماو) وهكذا.

- وكذا إذا وقعت الواو والياء عيناً الاسم الفاعل الذي امتلت عين فعله (قائم باع).

- وكذا وقوع الواو والياء فى جمع التكسير على وزن مفاعل وما شابه نحو (عجائز وعقائد وعمائر وسمع فى منائر ومصائب. وأخيراً تبدل منهما إذا اجتمعت واو أن فى أول الكلمة نتطلب أولاهما همزة فى نحو (أوائل - أواثق - أواصل)...

وأخيراً تأتى الهمزة حرف زائدا فى الصيغ ويحكم زيادتها إذا وليها ثلاثة أحرف أصلية مثل (أكرم وأعلم) وتعرف بهمزة التعدية، وكذا الإزالة فى (أصرخ وأعجم) وتأتى فى صيغة (أفعل) التفصيل وغيرها، وتأتى فى بعض صيغ جمع التكسير مثل (أفعله) وأفعال) نحو أغطية وأبطال. وتأتى الهمزة فى صيغة (فعلاء) نحو كرماء وفى صيغة (أفعلاء) نحو: أعزاء.

ثانياً: الهـــــاء

(١) الصفات الصوتية للهاء :

وهو صوت حنجري مهموس احتكاكي مرفق. والصفة الأولى له (حنجري) نسبة إلى الحنجرة، من أقصى الحلق كما عبر سيبويه فى قوله فأقصاها مخرجا والهمزة والهاء [1]

ولم يذكر الحنجرة.أما أنه صوت احتكاكي فمع أن الهاء أحد الأصوات الصامتة التي يتعرض فيها مجرى الهواء فى الفم لعارض إلا أنه يقترب من الأصوات الصائنة التى يكون[2] النفس فيها لا يلقى

---

(١) علم اللغة، د. مجود السعران ص ١٦٩ دار المصارف ١٩٦٢

(٢) الكتاب ٢ / ٤٠٤

اعتراضاً فى الفم، فعند نطق الهاء أطالتها قدر النفس وقد فطن أبن جني إلى ذلك فى قوله : "بعض الحروف أشد حصراً للصوت من بعضها، ألا تراك تقول فى الدال والطاء واللام : أو، اط، ال ولا تجد للصوت فنفذاً هناك ثم تقول : اح، اس، أز، أث، فنجد الصوت يتبع الحروف[١] فإن الهاء قد أخذت من صفات الصوامت صفة الاحتكاك friction وذلك بأن يضيق مجرى الهواء من الرنتين فى موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء عند خروجه احتكاك مسموعاً، وهذا الاحتكاك يشبه الخفيف " ولولا هذا الخفيف لصارت الهاء أقرب إلى صوت لين عادى"[٢].

وقد ترتب على ذلك ظاهرة صوتية أخرى وهى ما أسماه القدماء بهاء الوقف أو الاستراحة، فعند النطق بالهاء فى آخر نطقه يجد فى ذلك نوعاً من الراحة لمجرد إرسال النفس إلا من احتكاك بسيط، ويأتى صوت الهاء هذا فى مواضع أهمها: فى الوقف على الأمر الذى بقى على حرف واحد (عه- شه) وكذا فى المضارع فى نمو (إن تع أعه)، وكذا فى المضارع والأمر محذوف اللام نمو (لم يغزه وارمه) - وفى نون لمثني والجمع (ضاربانه. ومسلمونه) وكذا فى النون المشددة للإناث (ضربتنه - هنه) وفى (أينه وثمه).

- من الظروف – وفى اسم الفعل (هلمه) وفى إن بمعني نعم (إنه).

---

[١] سر الصناعة، ص ٧

[٢] د. إبراهيم أنيس، الأصوات ص ٨٨

-وبعد ياء المتكلم المضافة للمثنى والجمع وغلاماه ومسلمويه) - وفى الضمائر المنفصلة مثل (هى. وهو): هوه وهيه. وكذا بعد (ما) الاستفهامية المسبوقة بحرف جر نمو (لمه وحتامه)- فى الألف فى لآخر الندبة نحو (يا غلاماه). وكذا فى الوقف على تاء التأنيث آخر الاسم (طلحة، فاطمة) ومن ذلك فى القرآن (أولئك الذين هداهم الله فبهداهم أفقده)[١] وقوله "يا ليتني لم أوت كتابية ولم أدر ما حسابيه..... ما أغني عني ما ليه هلك عني سلطانيه "[٢] ويلاحظ غالباً أنها تأتي فى الوقف بعد صوت لين طويل أو قصير، ولكن هذه الهاء سرعان ما تزول غالباً فى وصل الكلام، لأن وظيفته حينئذ تكون قد انتصف بوصول الكلام، بل أن بعض العرب يقف على الهاء فى نحو (طلحة، وفاطمة) بالتاء فى قولهم: عليكم السلام والرحمت) أو كما يقول اللبنانيون (الفتات - والحيات) أى الفتاة والحياة وعلى العكس من ذلك نجد من العرب من يقف ويعمل تاء التأنيث بالهاء دائماً ومنه قولهم: (دفن البناه من المكرماه. اى دفن البنات من المكرمات. وا رد أبن جني هذه اللهجة ونسبها إلى طيئ: فيقولون (كيف البنون والبناه وكيف الاخوة والأخواه.[٣]

إن بعض العرب يلقونه حركة الهاء على الحرف الذى قبله وذلك لتبيانه فيقولونه فى منه وعنه ولم أضربه : منه، وعنه ولم أضربه وهذا قريب مُن نطقنا فى العامية (له - لُه). ويترتب على ما تقدم أن الهاء لم تعد حرف روى فى صورها السابقة لكونها مهموسة أى ضعيفة فى مخرجها.

---

(1) الأنعام / ٩٠.
(2) الحاقة / ٢٥، ٢٨، ٢٩.
(3) ابن جني، المستحب ص ١٢٩ تحقق النجدى ناصف وآخرين، القاهرة ١٣٨٦ هـ

(٢) الإبدال فى صوت الهاء:

مما يتصل بدراسة الهاء صوتياً إبدالها مكان صوت آخر أو العكس فيما يعرف بظاهرة الإبدال، وليس الإبدال مقصوراً عليها بل أنه يشمل معظم الأصوات، فقلما تجد حرفاً إلا وقد جاء فيه البدل ولو نادراً[1].

ذلك أن"من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض"[2] وهنا تتدخل اللهجات فى إبدال أصوات بعض الكلمات التى تتفق بينهم فى المعنى فتبدل الهاء فى نحو (ماء) وأصله (موه) والجمع (أمواه) وكذلك فى قولهم فى (أهل) (آل) حيث توالت همزتان فقلبت الثانية ألفا ومنه (إياك وهياك) وأرقت الماء وهرقت الماء، وأرحت دابتى وهرحتها). وتبدل الحاء هاء فى كدحه وكدهه، وحيث مخرج الهمزة من الهاء.

وعلى كل فالهاء تتميز بأنها أحد الأصوات الانفعالية حتى يمكنها عنصراً رئيسياً فى الصيحات الانفعالية فى لغات عدة بل أن هذه الصيحات الانفعالية فى لغات عدة بل أن هذه الصيحات تتخذ أسماء مثل (أهات وتأوهات وشهقات - وأه، بل سموا الحصبة (آهه) والجدرى (مآهة) وكأنهم يشخصون ما يصدره المريض من تأوه ونطيق البعض أن هذه الصيحات هى أصل اللغات. وهذه الصيحات توجد أيضاً فى العربية فى أسماء الأفعال نحو (ها، وهيا وهيت

(1) المزهر، ١ / ٤٦٠

(2) الصاحبى لابن فارس، ص ٣٠٣ بيروت ١٩٦٣

وهيهات وهلا وهلم وهاه، وأية وواها وآه. ولذا استعملت الهاء في التنبيه قبل أسماء الإشارة (ذا) وهذا ذاك وهذاك بل تدخل أيضاً على الضمير الذي قبل اسم الإشارة نحو (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم)[١] ومازال اللبنانيون يستخدمونها اليوم في الإشارة (ها البيت- وهاالسيارة) وكما تستعمل الهاء حرف أصليا في نحو (وجه - هالة - سهل) وضمائر الغائب. وتستعمل أيضاً زائدا كما في جمع (أم) : (أمهات) وتستعمل (أمات) بغير الآدميين. ومن ذلك زيادتها في بعض الكلمات المسموعة مثل (هبلع) أي الأكول والهلقانة، أي الضخم الطويل و(هجرع) وهو الطويل، وهو كولة وهي الجسيمة[٢] وفي مقابل زيادتها يأتي حذفها للدلالة على الترخيم نحو (مية : مي) فاطمة : فاطم).

---

(1) آل عمران، ١١٩

(2) انظر شرح المفضل ١٠ / ٢
الصاحبي / ٥٣

المبحث الثانى : الأصوات الحلقية (العين والحاء)

أولاً : العين

أوصافه : صوت العين صوت حلقى احتكاكي (رخو) مجهور مرقق يتم نطقه بتضييق الحلق عند لسان المزمار ونتوء لسان المزمار إلى الخلف حتى يتصل أو يكاد بالجدار الخلفي للحلق، وفى نفس الوقت يرتفع الطبق ليستمر المجرى الأنفى، وتحدث ذبذبة فى الأوتار الصوتية، ويحتك الهواء الخارج من الرئتين بلسان المزمار والجدار الخلفى للحلق عند نقطة تقاربهما وقد عد النحاة العرب صوت العين من الأصوات المتوسطة (المائعة) وربما كان ذلك راجعاً إلى أن العين من أقل الأصوات احتكاكاً، أو لعدم وضوح الاحتكاك فى نطقها وضوحاً سمعياً، ومع ذلك فإن الأصوات المتوسطة تشترك معاً فى خصائص ليست موجودة فى نطق العين وأوضح هذه الخصائص حرية مرور الهواء فى المجرى الأنفى أو الفمى دون أن يسد طريقة أو يعرقل سيره بالتضييق عند نقطة ما، كما فى نطق العين إذ يلاحظ التضييق فى الحلق واضحاً مما يجعلنا نرجح القول بأنه صوت احتكاكي (رخوة) لا متوسط.

وقد بدأ الخليل معجمه المسمى بهذا الاسم (العين)لا بالهمزة لأن (العين) فى رأيه- أشد وضوحاً عن الهمزة، فبدأ به أبجديته الصوتية.

وعلى المستوى اللهجى نجد ظاهرة (العنعنة) وهى قلب الهمزة المفتوحة عينا وهى تنسب إلى تميم وقيس وأسد فى (أن، وأنّ) فى قولهم: (أشهد عنك رسول الله) وقد قال شاعرهم :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة : ماء الصبابة من عينك مسجوم[١]

ويبدو أن الهمزة فى لسنا هؤلاء البدو تتعرض للإبدال عيناً فى غير هذا الموضع، فقد ذكر أبو الطيب اللغوى جملة من الروايات التى جاءت بالهمزة والعين منها: آديته وأعديته،اى قويته. وكذا استأديت بمعنى: استعديت. وعباب الموج وآبابه ولطعه بالسهم ولأطه[٢] ومازال بعض العرب اليوم ينطقون الهمزة عيناً فى الصعيد وبادية الجنوب العربي فيقولون فى اسأل : أسعل) فى سؤال : سعال) وفى (لا) : لع. وليس غريباً أن يحدث القلب للهمزة عيناً نزوعا إلى إظهار، صوت حنجرى فى صورة صوت حلقى قريب منه ولكنه مجهور ناصع الرنتين، أو للتخلص من الهمزة الثقيلة على ألسنة هؤلاء.

ثانياً : الحـــاء :

أوصافه : الحاء صوت حلقى احتكاكي مهموس مرقق، هو من الأصوات الصعبة على غير العرب – وكذلك سابقة العين – ولذا نجد معهم من ينطقه خاء (خبيبي) أو هاء (أهمد) بدلاً من حبيبى وأحمد. أما العين فينطقونها همزة (أرب) فى عرب.

---

(١) أبو الطيب اللغوى، الإبدال ٢/٥٥٢

(٢) أبو الطيب اللغوى، الإبدال ٢/٥٥٢

وعلى ذلك فإن صوت الحاء هو المقابل المهموس لصوت العين، ويتم النطق به كما يحدث تماما مع صوت العين مع فراق واحد هو أن الأوتار الصوتية فى نطق الحاء مفتوحة ليس بها ذبذبة، ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعاً من الخفيف يسمع فى أقصى الحلق أو داخل المزمار. وقد فطن ابن جني للفرق بين العين والحاء فى قوله :
" ولولا بحة فى الحاء لكانت عينا.... ولأجل البحة التى فى الحاء.... يكررها الشارق فى تنحنحه، وحكى أى رجلا من العرب بايع أن يشرب علبة لبن ولا يتنحنح، فشرب بعضه، فلما كظه الأمر قال : كبش أملح، فقيل له : ما هذا؟ تنحنحت ! فقال : من تنحنح فلا أفلح، وكرر الحاء مستريحاً إليها لما فيه من البحة التى يجرى معها النفس، وليست كالعين التى تحصر النفس " (١).

ولعل هذا التقارب بين صوت الحاء والعين هو الذى دفع بعض العرب إلى قلب الحاء عينا، وهى لهجة منسوبة إلى هذيل فى نطقهم (حتى : عتى)، وذلك فى قراءة أبن مسعود (عتى حين) ويروى أن عمر بن الخطاب بلغه ان ابن مسعود يقرئ الناس (عتى حين) فكتب له : إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فاقرئ الناس بلغة قريش). ومن ذلك قولهم (اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض). والغريب فى قراءة أبن مسعود أن تقلب حاء (حتى) وتترك حاء (حين). وروى أنه قرأ (طلع منضود) فى موضع (طلح منضود) بل روى عنه العكس وهو قلب العين حاء فى (إذا بعثر ما فى القبور)، فقرأها (بحثر). وعلى كل فإن هذا القلب وذاك راجع إلى اتحاد

---

(١) سر الصناعة، ٢ / ٢٤٦

الصوتين فى المخرج. وهما أيضا احتكاكيان (رخوان، ولا يميز بينهما سوى الجهر فى العين، والهمس فى الحاء.

ويشير أحد المحدثين أن (حتى) فى العبرية والآرامية (عد)[1] وربما تأثر الهذليون بنطق وافد عليهم من بيئة أجنبية.

وربما كان القلب فيما سبق مبررا بالتقارب، إلا أننا نجد فى إحدى اللهجات من يقلبون (العين) نونا فيما يعرف بظاهرة (الاستنطاء) وهى تعنى نطق العين الساكنة قبل الطاء فى كلمة (أعطى) نونا، فيقال (أنطى)، وهذا النطق منسوب إلى هذيل وسعد بن بكر والأزد وقيس والأنصار[2] بل مازلنا نسمعها إلى اليوم فى نطق بعض العراقيين، ومن ذلك قراءة أبن مسعود (إن أنطيناك الكوثر)[3] وفى نحو (أنطاهم تقواهم) فى قوله (وآتاهم تقواهم). وكذا روى عن الهذليين قولهم (اليدِ المنطية خير من اليد السفلى).

والعراقيون حاليا يقولون (انطينى الخط) وهكذا، وقيل أن الفعل (آتى) بتضعيف التاء ثم فك التضعيف وقلبت التاء الأولى نون كما فى (جدل وجندل) فصارت أنتى ثم أعطى[4]

وأخيرا قد تقلبت الحاء هاء فى بعض الكلمات نحو (كده) وكدح ومنه فى العامية (حاعمل)، تصبح (هاعمل). أى سأعمل.

---

(1) د. رمضان عبد التواب، مضلول فى فقه اللغة، ص ١١٩
(2) السيوطى، المزهر، ١ / ٢٢٢
(3) ابن خالوية، البديع، ١٨١
(4) د. إبراهيم السامرنى، فقه اللغة المقا صـ ٢٥٨

المبحث الثالث : من الأصوات اللهوية (القاف)

الصفات الصوتية للقاف:

يوصف صوت القاف كما ينطق به مجيد والقراءات حالياً – بأنه صوت صامت انفجاري (شديد) مهموس مفخم إلى حد ما. مع أن كتب القراءات تصفه بأنه صوت مجهور لا مهموس، وهكذا وصفه سيبويه ومن بعده. ويتم نطقه الآن في الفصحى بأن يرتفع مؤخر اللسان حتى يتصل بالهاء، وهي الزائدة في الناحية الخلفية للطبق حتى يتصل كذلك بالجدار الخلفي للحلق في الوقت الذي تنفتح فيه الأوتار الصوتية في وضع تنفس لا في وضع جهر وهذا الصوت من أصوات القلقة " والنحاة والقراء قد أخطأوا في اعتباره مجهوراً لهذا السبب.. والطبقية غير الإطباق.. والنحاة العرب لم يفرقوا بينهما بل أطلقوا عليهما معاً اسم الاستعلاء، وأن كليهما ينتج بعض القيمة التضخمية، ولكن التفخيم لا يتم إلا إذا انضم التحليق إلى الإطباق أو الطبقية والتحليق... سحب اللسان إلى الخلف في نقطة معينة وهو غير النطق الذي توصف به أصوات العين والحاء، وصوت القاف لهوي ومن ثم كان طبقياً لا مطبقاً. ويتم معه قرب اللسان من الجدار الخلفي للحلق في نقطة فوق تلك التي تتصل بها ظاهرة التحليق ومن هنا لم يكن صوت القاف من الأصوات المفخمة تفخماً كاملاً، وإنما كان له بعض

القيمة التفخمية الذى جاء من وجود العنصرين الطبقى والحلقى فى نطقه"(١).

والحق إننا لا نستطيع بشكل مؤكد أن نحكم على وصف القدماء للقاف بأنه مجهور بالخطأ كما قيل فى الرأى السابق ذلك لأن التطور فى صوت القاف واضح جداً والتغير فيه أوضح، فإذا كان القاف فى اللغة الفصحى المعاصرة ينطق برفع اللسان حتى يلتقى بأدنى الحلق واللهاة مع عدم السماح للهواء بالمرور من الأنف وبعد ضغط الهواء مدة قصيرة تطلق سراحه فجأة بأن ينخفض أقصى اللسان فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً ولا يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به، فالقاف إذن صوت انفجاري مهموس، وهذا يعنى أن بين المحدثين والقدماء نقطتى خلاف، أما الأولى فتتعلق بوصفها عند سيبويه وابن جني بأنها من " أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى"(٢) ولذا وصفوا القاف بأنها تاليه للعين والخاء لا قبلها. وجاء وترتيب الخليل وابن جني موافق لذلك، وإن كان الخليل وصفها بأنها لهوية ولو كان يقصد اللهاة كما نعرفها لعكس الترتيب إلى جانب أنه وصف الكاف أيضاً بأنها لهوية(٣) فالقاف عندهم حنكية قصية، أو من أقصى الحنك وعلى ذلك فربما كانت (القاف) القديمة أشبه بصوت (الكاف) الفارسية، التى فيها صفة الجهر وتتفق مع وصفهم بأنها من أقصى الحنك، وهى تشبه الجيم القاهرية مع

(١) مناهج البحث فى اللغة ص ٩٦
(٢) الكتاب ٤٠٥/١
(٣) العين ٦٥/١

تفخيمها. أما نقطة الخلاف الثانية فهى وصفهم القاف بأنها مجهورة لا مهموسة كما ينطقها القراء المعاصرون – فيكون الصوت الموصوف هو (الكَاف) لأنه من منطقة الغين والخاء أو بالتحديد من موضع تالٍ لهما، إذ (الكَاف) نظير الكاف فى الموضع والانفجار، ولكنها مجهوزة والكاف مهموسة. وبالتالى فلا خطأ فى وصف القدماء لها وإنما وصفوا كما نطقوا بها ولا زلنا نسمعها إلى الآن من بعض العرب للآن.

(٢) صوت القاف فى اللهجات:

صوت القاف من الأصوات التى أصابها قدر غير قليل من التغير والتبدل، فمقارنة اللغات السامية تدل على انه صوت شديد مهموس[١] وإذا كان وصف القدماء لها بالجهر فإن صدق وصفهم كان ذلك دال على تغير فى نطق القاف، وقد بقى هذا النطق للقاف المجهورة فى أغلب البوادى العربية وإن تقدم مخرجه إلى الأمام قليلاً وأصبح كالكاف. بيد أن هناك تغيرات أخرى قد طرأت على هذا الصوت " فهو ينطق صوتا مزجيا officiate كالجيم الفصيحة فى بعض بلدان الخليج العربي كالبحرين، فقد سمعت بعض أهلا يقولون (الجبلة) بدلا من القبلة، كما ينطق فى مدينة الرياض وضواحيها فى الجزيرة العربية صوتا مزجيا كذلك، غير أنه مكون من الدال والزاى (dz) فى مثل قولهم (دزبله) أى القبلة. •• وفى السودان وجنوبي

---

(١) د. رمضان عبد تواب، التطور اللغوى ومظاهره ص ١٧ – ٣٦

العراق تحول نطق القاف إلى غين "الغاء، وغناة، ويغدر، والديمغراطية، وعلاغة، واغتصادى. . بدلا من لقاء وقناة ويقدر والديمقراطية وعلاقة واقتصادى. . وفى اللهجة المصرية كلمتان قلبت فيهما القاف غينا على هذا النحو، هما (يغدر ومشتقاتها بدلاً من يقدر، وزغزغ بمعنى : حرك يده فى خاصرة الصبى ليضحكه، والأصل فيها (زقزق). كما تطورت القاف إلى كاف فى نطق الفلسطيين فى المدن، فهم يقولون مثلا : (كال) فى (قال) و(برتكال) فى (برتقال)، وكتلة كتل فى (قتله قتلا)" [١] أما عن تفسير هذه التغيرات فيه فإن القاف لا تقلب حرف مزدوجاً إلا إذا وليها كسرة كما ينص قانون الأصوات الحنكية.[٢] كما أن ضياع الانفجار من القاف هو السبب فى انقلابها غينا. أما عن قلب القاف همزة فى اللهجة القاهرية والشامية فإنه يبدو أنه قديم فى اللغات السامية، والعلة الصوتية فى هذا التطور هو أن مخرج القاف انتقل إلى الخلف إلى مخرج الهمزة(الحنجرة)، وهذا التطور قديم فقد أوردت المعاجم العربية وكتب اللغة كلمات رويت مرة بالقاف ومرة بالهمزة نحو (زنق وزنأ) أى ضيق بخلا ونحو (قرم، أرم) و (القصر والأصر) أى الحبس – (وتقبض وتأبض) بمعنى شد رجليه و(زهاق وزهاء) أى قريب من ذلك.[٣]

---

[1] د. رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات فى للغة، ص ٩، ١٠، ط ٢، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٨

[2] جو نشون دراسات فى لهجات شرقى الجزيرة، ص ٥٤، ٥٥ ترجمة د. أحمد العنبيب الرياض، ١٩٧٥ م.

[3] انظر لسان العرب، الإبدال ٢ / ٥٦١، إصلاح المنطقة، ٤٠٦

(والقفز - الأفز)[١] وكذا ورد قلب القاف كافا لقرب مخرجها في كلمات مثل (القحط والكحط) و(القسط، والكسط) و(القشط و الكشط) وتنسب القاف إلى قيس وتميم وأسد، والكاف إلى قريش، ونحو (وإذا السماء كشطت) وقرأ بن مسعود (كان مزاجها قافورا)[٢] وقريب من ذلك ما نلاحظ في كثير من اللهجات العربية من نطق القاف جيما قاهرية (أنا جلت) كما ينطقها المصريون (أي أنا قلت).

---

(1) الإبدال ٢ / ٥٦٢

(2) انظر ارتقان، الكشاف ٢٥٤/٣، البحر المحيط ٤٣٤/٨، وشواذ القراءات ص ١٦٧

المبحث الرابع : الأصوات الطبقية (الكاف والغين والخاء)

أولاً : صـــوت الكـــاف

أوصافه : يوصف صوت الكاف بأنه صوت صامت طبقة انفجاري (شديد) مهموس، مرقق، وهذا الصوت يتكون بأن يدفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، فلا يحرك الوترين الصوتيين ثم مجراه فى الحلق أولا فإذا وصل إلى أقصى الحنك قرب اللهاة انحبس الهواء انحباساً تاماً لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك العلى فلا يسمح بمرور الهواء فإذا انفصل العضوان انفصالاً مفاجئاً اندفع الهواء إلى خارج الفم محدث ذلك الصوت الانفجاري المعروف بالكاف. بيد أنه قد لوحظ أن انفصال العضوين فى نطق الكاف العربية أبطأ منه فى كثير من اللغات الأوربية التى فيها الكاف أكثر شدة، وللكاف الفصحى المهموسة نظير مجهور وهو (الجيم) القاهرية وكلاهما من أقصى الحنك. أما عن التطور فى صوت الكاف بأثر اللهجات العربية فيبدو أنه قليل جداً، ولم يذكر فى تغيره إلا أنه قد يتغير فى بعض اللهجات إلى (شين) وقد يبقى الكاف مع وجود البديل وهو الشين، وهذا ما يعرف عند القدماء بظاهرة (الكشكشة) وكذا ما يعرف بظاهرة (الكسكسة). فبعضهم يقول (أكرمتكش) فيزيد الشين بعد كاف المخاطبة لإظهار حركة الكسر فى الكاف، وهذه تسمى كشكشة تميم وقريب من هذا ما نسمعه من بعض العرب كالعراقيين

فى نطقهم الكاف شينا أو بالدقة ((ch (تش) صوتا مزدوجا فيقول.
فى كذب : شذب وفى (كلب) (تشلب) وفى (يحكى : يحشى)[١]
وفى (أمك: أمتش) وفى كيف صحتك : ايش لون صحتش).

أما الكسكسة فهى منسوبة إلى ربيعة فى إضافة سين إلى كاف المخاطبة نحو (أكرمتكس)، فيبقون على المبدل والمبدل منه، وقد يحذفون الكاف ومع أن الكاف صوت مهموس إلا أنه قد يجهر جهرا خفيفا إذ وليه صوت الدال فى نحو (كدب)، وفى بعض اللهجات يتم نطقه نطقا مغورا أى يميل مخرجه إلى الغار فى سقف الحنك كما يسمع فى لهجات العراق فينطقونه صوتا مركبا من التاء الساكنة والشين.

ثانياً : الغـيــــــن:

أوصافه: يوصف صوت الغين بأنه صوت صامت طبقي احتكاكي مجهور مفخم إلى حد ما. فهو وأن كان مرقق فهو يرتبط بقيمة تفخيمية فى بعض المواقع. ويتم النطق بالغين برفع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبق ولكنهما لا ينطبقان انطباقا ما، ولذا يسمحان لهواء النفس من المرور بينهما ولكن مع احتكاك باللسان والطبق فى نقطة تقاربهما وهذا هو عنصر الرخاوة فى الغين. وفى نفس الوقت يرتفع الطبق ليس المجرى الأنفى، وتحدث ذبذبة فى الأوتار الصوتية وهذه هى صفة الجهر فيه، والقدماء وصفوه بأنه

(١) القدماء يشيرون إلى هذا الظاهرة باسم الشنشنة، ويقولون ان الكاف فيها تقلب شينا.

صوت حلقى وقولهم تنقصه الدقة لأن مفهوم الحلق لديهم يشمل مؤخرة اللسان والطبق حتى الحنجرة.

ثالثاً: الخـــــــاء:

أوصافه: ويوصف صوت الخاء بأنه صوت صامت طبقى احتكاكي (رخوة) مهموس مرقق، ولو أنه يميل إلى التفخيم فهو شبه مفخم فى بعض المواقع ويتم بنفس الطريقة التى يتم بها النطق بصوت الغين مع فرق واحد هو أن الأوتار الصوتية لا تتذبذب معه لأنه مهموس فهو النظير المهموس لصوت الغين المهجور. وفى نطق الخاء يرتفع اللسان حال النطق به بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك، وبحيث يكون هناك فراغ ضيق يسمح للهواء بالمرور منه مع حدوث احتكاك مع عدم تذبذب الأوتار الصوتية عند نطقه.

المبحث الخامس: الأصـــوات الغـــاريـــة

(الشيـــن والجيـــم واليـــاء)

أولاً : صوت الشين:

أوصافه : يوصف صوت الشين بأنه صوت صامت غازى احتكاكي (رخو) مهموس مرفق. ويتم النطق به بوضع طرق اللسان ضد الأسنان السفلي ومقدمه ضد الغار مع خفض مؤخر اللسان ورفع الطبق حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، ويتم ذلك مع فتح الأوتار الصوتية فى وضع تنفس مهموس، والمقابل المجهور لهذا الصوت هو صوت (الجيم) الشامية ((J شديدة التعطيش، وكذا قد يجهر به أحيانا فى لهجة القاهرة إذا جاء بعده صوت الغين كقولهم (مشغول) (ووزارة الأشغال).

أما فى الفصحى فليس للشين نظير مجهور، وهو أحد الأصوات الثلاثة الغارية والقدماء وصفوها بأنها أصوات وسط الحنك وبعضهم يسميها بالأصوات الشجرية.

ثانياً : صـــوت الجيـــم:

أوصافه : صوت الجيم فى اللغة الفصحى يوصف بأنه صامت غارى مزدوج (انفجاري – احتكاكى) مجهور. ولما كان صوت الجيم يجمع بين الشدة والرخاوة، أو بين الانفجار والاحتكاك سمى صوتا مزدوجا أو مركبا. فالمعروف أن كل صوت انفجارى قد يكون له مقابل احتكاكي أى صوت يتكون فى نفس المخرج كما فى الكاف

والخاء مثلاً. كما أن انفصال الأعضاء فى نطق الأصوات الانفجارية يتفاوت فى السرعة أو البطء فإذا كان انفصالهما بطيئاً بحيث لا يحدث انفجار واضح سمى هذا الصوت الذى تكون بهذه الطريقة صوتاً مزدوجاً احتكاكيا[١].

وفى العربية صوت الجيم الفصيحة الذى يتكون بهذه الطريقة، ويتم نطقه بأن يرتفع مقدم اللسان تجاه مؤخرة اللثة ومقدم الحنك حتى يتصل بهما محتجزا وراء الهواء الخارج من الرئتين ثم بدلاً من أن ينفصل عنها فجأة – كما فى الأصوات الانفجارية – يتم الانفصال ببطء فيعطي ذلك فرصة للهواء بعد الانفجار أى يحتك بالأعضاء المتباعدة احتكاكاً شبيهاً بما يسمع من صوت الجيم الشامية[٢] فهو إذن صوت مركب جزؤه الأول يشبه الدال والثاني يشبه صوت الجيم المعطشة جداً (الشامية).

وربما كان يشبه جزؤه الأول صوت (الجيم القاهرية) وجزؤه الثاني صوت (الجيم الشامية). وهذا الاحتمال الثاني يفسر لنا نطق القاهريين له بالجيم الانفجارية الخالصة، بل إن مقارنة للغات السامية كلها يدل على أن النطق الأصلي لهذا الصوت كان بغير تعطيش كالجيم القاهرية تماما وتلك نسمعها من بعض أهل اليمن أحيانا.

---

(1) علم اللغة، د. السعران، ص ١٨٢

(2) مناهج البحث فى اللغة، ص ١٠٣، ١٠٤

أما فى العربية الفصحى نطقه من الطبق إلى الغار، أى من أقصى الحنك إلى وسطه كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج وقد حدث ذلك فى العربية القديمة قبيل ظهور الإسلام وصار هو النطق المميز للفصحى فجاء به القرآن الكريم. وبقى النطق الأقدم فى بعض اللهجات القديمة والحديثة.

* والجيم الفصحى عند القدماء هى أحد أصوات (أجدت طبقك) وفى تقديرهم أنه صوت شديد، أن انفجاري صرف، ربما يرجع ذلك إلى نطق الجزء الأول من هذا الصوت، وهو الجزء الذى يتمثل فى انحباس الهواء عند أول النطق به، ولكنهم لم يلحظوا الجزء الثاني فى نطقه وهو الانتقال ببطء من الانفجار إلى الاحتكاك، ولو صدق وصفهم فهذا يعين أن الجيم كانت تنطق بما يشبه الجيم القاهرية ثم عطشت بعد ذلك فى نطق القرشيين فى زمان النبي(ﷺ) وصار نطق القرآن الكريم بها[1] والقدماء أشاروا إلى صوت بين القاف والكاف، ونصوا على أنها بلغة سائرة فى اليمن مثل جمل، إذا اضطروا قالوا كمل[2].

ولا بد أن المقصود هنا الجيم القاهرية وكتبوها بالكاف لعدم وجود رمز كتابى لها وبهذه الطريقة يمكن تفسير القراءة (حتى يلك الكمل فى سم الخياط) وهذه الكاف إنما هى (جيم) قاهرية ينطق بها

---

(1) انوليتمان، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة – المجلد العاشر، ص ١ ص ٢٠١ سنة ١٩٤٨

(2) ابن فارس، الصاحبي، ص ٢٥

فى جنوب اليمن وشمالها ومعنى هذا أن هذا الصوت كان معروفاً لديهم.

وربما من أجل التخلص من الازدواج فى صوت الجيم الفصحى قد دفع ذلك بعض أهل الصعيد إلى نطق الجيم دالا فيقولون فى (الجيش : ديش، وفى جرجا : دردا – وفى جزمة : دزمة وهكذا)

- ومع أن الجيم عنصر من عناصر تكون الكلمة العربية إلا أنه لوحظ أنها لا ترد مع الصاد والقاف والطاء فى كلمة عربية ولذا اعتبرت الكلمات (منجنيق وصولجان، وطاجن) كلمات أعجمية.

أما مجئ الجيم مع حروف التفخيم الأخرى فنادر مثل (خرج ونضج وجحظ، ضجع) أما عن حركة الجيم فى القرآن فيغلب عليها الفتح.
(١١٠٧) مرة. والكسر (١٥٧) مرة والضم (١٠٢) مرة. وأخيرا تقلب الجيم زايا فى بعض الكلمات فى اللهجة الليبية فيقولون (زوز، زرس، وززر) بدلاً من (جوز وجرس وجزر)

ثالثاً : صوت الياء

الياء فى الفصحى صوت صائت غاري(حنكي وسيط) احتكاكي (رخو) مجهور مرقق، وهو صوت لين أو حركة طويلة، فمن حيث مخرجه فمن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك، وهو

(صائت) لأن مخرجه يتسع لهواء الصوت، وتتسم الأصوات اللينة بأنها لا تدغم مع غيرها، لأن فيها لينا ومدا، ولكن يصح أن تدغم الواو فى مثلها، وكذا الياء فى مثلها وأما فى الصيغ فتأتي الياء أصلية فى نحو (يوم – بين – يئس). كما تأتي مبدلة من الألف والواو والهمزة، فتكون مبدله عن ألف فى (مصابيح) وفى تصغيره أيضا وكذا فى تصغير (كتاب). وتبدل من واو وفى نحو (رضى، وقوى، وصيام،وقيام، وديار، وحيل، سياط وحياض) وفى نحو أعطيت وزكيت، وفى ميزان وميعاد وفى دنيا وعليا، وفى سيد وميت وفى مرضى، ومقوى، وفى عصى ودلي وفى صيم ونيم. وتكون الياء زائدة فى أول الفعل لتدل على المضارعة (يذهب) ونحوه - وتأتي زائدة فى أول الاسم لغير معنى (يربوع) - كما تزداد ثانية فى نحو (صيرفى) وتزاد رابعة فى نحو (قنديل) وتزاد خامسة فى نحو (سلسبيل) و(عندليب). كما أنها تأتى مشددة آخر الاسم لتدل على النسب، وتتوسط صيغ التصغير الثلاثة. كما أنها علامة النصب فى المثني وجمع المذكر السالم، وقد تكون ناتجة من إشباع الكسرة (به : بهي)كما يمكن أن تكون ضميرا للمخاطبة (اسمعى) ونحوه أو ضمير للمتكلم (إنى عبد الله) ونحوه.

الياء فى اللهجات :

يبدو وأن التقارب بين صوتي الجيم والياء، إذ كلاهما صوت غاري من وسط الحنك وكلا هى صوت مجهورة، وإن كانت الجيم مزدوجة والياء رخوة، لعل ذلك هو الذى جعل بعض اللهجات تميل

إلى قلب الجيم ياء والعكس فكل ياء مشددة للنسب وغيرها فإن بعض العرب يبدلها جيماً وهذه تسمى ظاهرة (العجعجة) ومن (ذلك قول شاعرهم) خالى عويف وأبو علج : **المطعمان الضيف بالعشج.**
وهذه لهجة منسوبه لقضاعة.

و أبو علج : أبو على، والعشج (العشى) ويرى الغراء أنها لغة طي[١] ويرى أنهم لم يقتصروا على الياء المشددة بل قلبوا أيضاً غير المشددة فى قولهم (غلامج ودارج) بمعنى غلامي وداري.

وفى المقابل مما سبق تميل لهجات عربية أخرى إلى قلب الجيم ياء فى نحو (شجرة وشيرة)[٢] ويؤيد ذلك القراءة (ولا تقربا هذه الشيرة)[٣]

وعلى كل فأن هذه اللهجة مازلت نسمعها من بعض الكويتيين فى قولهم (ريال، أى رجال أى رجل) و(د ياى) أو دجاج، (وايد) : أى واجد وعلى ذلك فلو سميت هذه الظاهرة باليجيجة لكان ذلك أنسب.

(1) المزهر ١/ ٢٢٣، الإبدال ١ / ٥٧ وبعدها
(2) الإبدال ١/ ٢٦١
(3) البحر المحيط ١/ ١٥٨

المبحث السادس : الأصوات اللثوية (الذلقية)

(الراء واللام والنون)

أولاً : الراء

أوصافه : يوصف صوت الراء بأنه صوت صامت لثوى متوسط تكرارى مجهور.

وصوت الراء يتكون بأن تتكرر ضربات اللسان على اللثة تكرارا سريعاً، ويكون اللسان مسترخياً فى طريق للهواء الخارج من الرئتين وتتذبذب الأوتار الصوتية عند نطقه، وقد لاحظ القدماء صفة التكرار فى الراء فسموه الصوت المكرر وفسروا ذلك بقولهم : " وذلك أنك إذا وقفت عليه طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير "[١] وهذا . ما يفسر عجز الأطفال فى بداية نموهم اللغوي عن النطق به، بسبب ضعف العضلات المحركة لمقدمة اللسان وقصورها فى هذا السن عن إحداث الاهتزازات السريعة المكررة لهذه المقدمة ولذا ينطقها (ياء) وقد يصاب بلثغة فى الراء لسبب أو الآخر فلا يقدر على نطقها طوال حياته. وللتغلب على ذلك رووا أن عبد الله بن محمد الأسدى اللغوى . كان يلثغ بالراء غينا فقال له أبو على الفارسي: ضع ذبابة القلم تحت لسانك لتدفعه بها وأكثر من ترديد اللفظ بالراء، ففعل فاستقام له إخراج الراء من مخرجها" [٢] والراء

---

[١] سر الصناعة ٧٢/١
[2] بغية الوعاة ٢ / ١٢٧

من حيث الترقيق أو التفخيم نوعان فمنها المرققة ومنها المفخمة، ورغم اختلاف القراء فى ذلك إلا أنه يمكن استخلاص أهم الضوابط التي يجمعون عليها وهى :

- تفخيم الراء المفتوحة إذا سبقها كسرة أو ياء نحو (وفى السماء رزقكم، ونحو(صيروا) وفى نحو (لم يكن الله ليغفر لهم)(فقد خسر خسرانا مبيناً) (وإن كانت لكبيرة). وترقق الراء المكسورة مطلقاً (رزق – رجس) وتفخم الراء الساكنة التى يسبقها كسر فترقق (فرعون) إلا إذا صوت سبقها صوت استعلاء مثل (قرطاس).

أما الراء المضمومة أو الساكنة وقبلها ضم فحكمها غامض.
وعلى كل فالكثرة الغالبة من الراء جاء مفخماً لأن نسبة شيوع الفتحة فى العربية
(٤٦٠) فى كل ألف من الحركات قصيرها وطويلها والكسرة (١٨٤)، والضمة (١٤٦).

والراء كاللام من الأصوات المتوسطة أو المانعة وتتكون الراء بأن يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ثم تتخذ مجراه فى الحلق حتى يصل إلى مخرجه وهو طرف اللسان ملتقيا بحافة الحنك الأعلى (اللثة) فيضيق هناك مجراه،، إلا أنه لا يجب المبالغة فى تكرار الراء عن ثلاث مرات.

ثانياً : اللام

أوصافه : يوصف صوت اللام بأنه صوت صامت لثوى متوسط مجهور، وهو أحد الأصوات الذلقية كما أسماها بعض القدماء مع الراء والنون، فقد لوحظت العلاقة الصوتية بين هذه الأصوات فجمعوها تحت هذا الاسم وكذلك يرى المحدثون وجود شبه كبير بينها فهى مع قرب مخارجها تشترك فى نسبه وضوحها الصوتي وأنها من أوضح الأصوات الصامتة فى السمع ولذا فهى تشبه من هذه الناحية أصوات اللين، فهى جمعياً ليست شديدة أى لا يسمع معها انفجار وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها حفيف، كما فى الأصوات الرخوة، ولذا عدها القدماء من الأصوات المتوسطة ويسميها المحدثون بالأصوات المائعة.

ويوصف صوت اللام بصفة خاصة وهى أنه صوت جانبي، فهو يتكون بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة بحيث توجد عقبة فى وسط الفم تمنع مرور الهواء منه، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهول من جانبى الفم أو من أحدهما وهذا هو معنى الجانبية فيه، وتتذبذب الأوتار الصوتية عند نقطه، ولذا فقد أصاب القدماء فى وصفهم له بالصوت (المنحرف)، لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت، فيخرج الصوت من تلك الناحتين ومما فويقهما" [١].

---

[١] سر الصناعة ٧٢/

وأما من حيث الترقيق والتفخيم فاللام تأتي مرققة وهذا هو الأصل فيها ولا يجوز الخروج عن هذا الأصل عند جمهور القراء إلا بشرطين هما :

(١) أن يجاور اللام أحد أصوات الاستعلاء (لا سيما الصاد والطاء والظاء) سواء كان ساكنا أو مفتوحا.

(٢) أن تكون اللام نفسها مفتوحة نحو (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) (سيصلى ناراً ذات لهب) (سلام هى حتى مطلع الفجر) (والمطلقات يتربصن بأنفسهن)-(وما ظلمناهم) (ومن أظلم ممن افترى).

على أن جمهور القراء قد أجمعوا على تفخيم اللام فى اسم الجلالة إلا إن سبقها كسرة نحو(بسم الله ٠٠) واللام عنصر أساسى فى صياغة الكلمات العربية، بل هو أكثر الأصوات الصامتة استعمالا وشيوعاً فى العربية فنسبة شيوعه بلغت(١٢٧) مرة فى كل ألف من الأصوات الصامتة[1] على أنه يأتي صوتاً أصليا فى نحو (ملك – لهو – حمل)، كما يأتى مبدلاً من النون لتقارهما فى نحو (أصيلان) تصغير أصلان إذ يقال (اصيلال) : وفى (هتنت السماء) و(هتلت) كما ابدلت من الضاد (الضجع) أى (أضجع). وابدلت منها الراء (الخلاعه والخراعة) والنون (خامل وخامن) و(حالك وحانك) وأبدلت منها الزاى فى نحو أولع به وأوزع به، وأبدلت منها الباء فى نحو البغيث واللغيث وهو الطعام المخلوط فى الشعير وأبدلت منها الميم

(١) علم اللغة العام، الأصوات، (٣)

فى (أل) التعريف عند بعض العرب ومنه قولهم (ليس من أمبر أمصيام فى أمسفر) كما فى رواية حديث الرسول(ﷺ) وهذه الظاهرة تسمى (الطمطانية) واشتهرت بها القبائل اليمنية. كما روت كتب النحو قول أحد الطائنين :

ذاك خليلي وذو يواصلني ** يرمى ورائي بامسهم وامسلمه (١).

ومازالت هذه اللهجة واضحة فى معظم مناطق تهامة فى أسماء القرى والمناطق ولكنهم ينطقونها (إم) بكسر الهمزة وهى لهجة سبئية. بل إنها واضحة فى اللهجة المصرية فى بعض الكلمات نحو امبارح أى البارحة وقد تنطق (أنبا رح)

ثالثاً : صوت النون

أوصافه: يوصف النون بأنه صوت صامت أنفي متوسط مجهور وعند النطق به يندفع الهواء من الرنتين محركا الوترين الصوتين ثم يتخذ مجراه فى الحلق أولا حتى إذا وصل إلى الحلق هبط أقصى الحنك فيسد هبوطه فتحه الفم، ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثاً فى مروره نوعاً من الخفيف لا يكاد يسمع، فالنون فى هذا كالميم غير أنه يفرق بينهما أن طرف اللسان مع النون يلتقي بأصول الثنايا العليا (اللثة)، وأن الشفتين مع الميم هما العضوان اللذان يلتقيان فمجرى الهواء مع النون والميم هو التجويف الأنفي ولذا سميا بالصوتين الأنفيين.

---

(١) الأشموني ١/ ١١٧

- ويبدو أن كثرة ما يعرض للنون وبخاصة الساكنة منها من ظواهر خاصة بها راجع إلى سرعة تأثرها بمجاورها من أصوات كل ذلك قد جعل كتب القراءات تخصها بحديث طويل تبين فيه أحكامها من إظهار وإخفاء وقلب وإدغام ونجمل ذلك فيما يلي :

إظهار النون : النون لا تكاد تتأثر بأصوات الحلق حين تجاورها وربما كان مرجع ذلك هو بعد مخرجها عن مخرج هذه الأصوات، فكل من النون وكذلك اللام لا تتأثر بأصوات الحلق، مع أن تأثر النون بما يجاورها لا يتوقف فقط على قرب المخرج، لأن النون أكثر تأثراً بمجاورة أصوات طرف اللسان ووسطه، بل لا بد مع قرب المخرج من صفة الصوت، إذا يقل تأثرها بالأصوات الشديدة والرخوة عنه بمثيلاتها من الأصوات المتوسطة.

إخفاؤها : والدرجة الثانية بعد الإظهار هو ما سمى (الإخفاء) ويكون مع خمسة عشر صوتاً عند جمهور القراء وهى (القاف، والكاف والجيم والشين والصاد والزاى، والضاد، والدال والتاء، والطاء والذال والثاء والظاء والفاء) وما أسموه إخفاء ليس إلا محاولة الإبقاء على النون وذلك بإطالتها مما أدى إلى ما يسمونه الغنة، مع ميل النون إلى مخرج الصوت المجاور لها. فالإظهار إذن مع أصوات الحلق نحو (من آمن – أنهارا – وانحسر – أنعمت – من خير – من غل) واختلف بعض القراء فى حكم النون حين تجاور الغين والهاء بين الإظهار والإخفاء.

أما مع الإخفاء فلا بد من الغنة. فليست الغنة إلا إطالة لصوت النون مع تردد موسيقى محبب والزمن الذى يستغرقه النطق بغنة هو ضعف ما تحتاجه النون المظهرة حتى لا تغني النون الخفية فى مجاورها. قلبها ميم: وذلك إذا جاورت النون الساكنة باء فإنها تقلب إلى صوت أنفي فإنها لم تفقد صفتها الأنفية نحو (أنبئهم – من بعد – أركب معنا).

إدغامها : ويعنى فناء النون تماماً مع بقاء ما يشعر بها، وهو ما يسمونه الإدغام بغنة، وذلك عند مجاورتها للواء والياء، إذ يتخذ الهواء مجراه من طريقين معا هى التجويف الأنفي والفمي، وهو ما اصطلح المحدثون تسميته الصوت (الأنفمي) Nazalization وهذا كنطق الأخنف أو نطق اليهود لأصوات لغتهم – ومن ذلك نحو (من يقول – من وال).

أما إذا وليها نون أخرى فتصبح نوناً مشددة (مع مثلها) وتبقى الغنة لإطالة الصوت، وكذا إذا وليها ميم فتقلب ميماً وتدغم فى الأخرى مع الغنة أيضاً. وأخيراً تدغم إدغاماً بغير غنة مع اللام والراء.

وعلى ذلك فإن النون قبل الأصوات الأسنانية اللثوية (السين والزاى والصاد) وكذلك قبل (التاء والدال والطاء والظاء) صارت صوتا لثويا أنفيا مجهوراً – والنون قبل أصوات وسط الحنك (الشين والجيم والياء) صوتا أنفى مجهور من الحنك الصلب كما فى نطق

(انشطر). ونرمز له بالرمز (ن١). والنون قبل الثاء والذال والظاء ينتقل مخرجه إلى مخرج الصوت التالي له أي بين الأسنان، ففي نطلق نحو (انثاب) نجد أن طرف اللسان يلتقي عند إنتاجه بالأسنان العليا ونرمز له بالرمز (ن٢). أما النون قبل الدال والتاء والطاء والزاي والصاد والسين فصوت أسناني لثوي مجهور كما في كلمة(اندحر) فنجد طرف اللسان عند إنتاجه يلتقي بالأسنان العليا ومقدم اللثة ونرمز له بالزمز(ن٣) والنون قبل الكاف صوت أنفي مجهور من الحنك اللين فيكون صوت النون طبقيا أنفيا مجهورا ولنجرب نطق كلمة (انكسر) لنجد أن طرف اللسان عند إنتاجها يلتقي بالحنك اللين لالتقائه بصوت الكاف فيتأخر مخرج النون إلى حيث مخرج الكاف ونرمز له بالرمز (ن٤).

ومن صور النون أن يكون صوتا لهويا أنفيا مجهورا ينتج عندما يلتقي صوت النون بصوت القاف فيتأخر النون إلى حيث مخرج القاف (اللهاة) وذلك نحو (انقاد) ونرمز له بالرمز (ن٥). هذا إلى جانب الوحدة الأصلية للنون باعتباره صوتا أنفيا أسنانيا لثويا مجهورا احتكاكيا رنانا إلا أن هذه الوحدة الأصلية تتأثر بمجاورها فينتقل مخرجها في صوره الفرعية الخمسة السابقة وكلها أصوات أنفية مجهورة وما بينها من خلاف عند إنتاجها يعتمد على نقطة التقاء طرف اللسان بالأسنان أو اللثة أوهما معا، أو بالحنك الصلب أو اللين أو اللهاة.

النون وصيغ الكلمات:

تأتي النون أصلية في كلمات نحو (نبع، ومنع – سن)، وتأتي زائدة باعتبارها أحد أحرف الزيادة في الأفعال في صيغة (أنفعل) و (أفعنلل) وتصاريفهما وتزداد في بنيه المصادر على (فعلان) نحو (دوران- إتيان) وفي الجموع (غلمان وحملان) أي بصفة الفاء وكسرها وفتحها. أما النون في صيغة (فعلان) فيمكن عند بعض العرب اعتبارها أصلية ومؤنثها (فعلانه) أو اعتبارها على الأرجح زائدة ومؤنثها (فعلي) نحو (كسلان وكسلي). بالإضافة إلى النون أحد المضارعة وتدل على الإناث (نون النسوة) وتدل على التوكيد (نون التوكيد) وتزيد النون في بعض الأسماء المسموعة في أولها نحو (نفرجه) من الفرج أو الكشف وتقال عمن لا يكتم سراً. و(نخاريب) من الحزاب. و(نفاطير) من الفطر أي القطع، ونحو (بناذير) من البذر وهو التفريق، ومنه (نبراس) وهو الفتل من القطن. وكذا تزاد ثانية في (قنعاس) أي عظيم ضخم، وتزاد ثالثة في (جحنفل) وهو عظيم الجحلفه وهي الشفة وفي نحو (عبنبل) من العبل وهو الغليظ.

وكذلك، تزاد رابعة في (ضيعن ورعشن) وفي خلفنه وعرضنه. وتزاد خامسة في (غضبان وسكران) وهي قياسية وتزاد سادسة في نحو (زعفران وعقربان وعنفوان). وأخيراً تزاد سابعة (عريقصان) اسم نبات – وقرعبلانة وهي دوبية عريضة.

- وتأتي النون كذلك للوقاية وفي المثنى وجمع المركز وفي التنوين بأنواعه.

المبحث السابع : الأصوات الأسنانية اللثوية

وهذه الأصوات هى الدال والضاد والتاء والطاء والزاى والسين والصاد.

أولاً : صوت الدال:

يوصف صوت الدال بأنه صوت صامت، أسناني لثوي، انفجاري (شديد) مجهور مرقق. وهو ينطق بإلصاق طرق اللسان بداخل الأسنان العليا ومقدمه اللثة، فى نفس الوقت الذى يلتصق فيه مؤخرة الطبق بالجدار الخلفي للحلق، وتحدث ذبذبة فى الأوتار الصوتية، وهو بذلك الوضع المقابل المرقق للضاد المنطوقة فى اللهجة المصرية الحديثة، بيد أن القراء القدماء يصفونه بأنه المقابل المرقق للطاء القديمة. ولما كان مؤخر اللسان منخفض فى النطق بصوت التاء. فإن هذا الانخفاض يعطي لحجرة الرنين شكلاً مغايراً لشكلها فى حال التفخيم وتكون النتيجة لذلك ترقيق الدال. ومع هذا الصوت مجهور بصفة عامة، إلا أنه قد يكون مهموساً فى بعض مواقع الكلام العامي كأن يكون متلواً بصوت مهموس آخر كما فى نحو (يدفن)، وكذلك إذا كان الدال مسبوق بصوت مهموس فى آخر الكلمة نحو (رفد)، أو إذا كان فى آخر الكلمة مسبوقاً بصوت طويل مثل (عبد)، ولعل ذلك هو السبب فى حرص قراء القرآن ومجيدو اللغة الفصحى على أن يجهروا بصوت الدال فى كل موقع وذلك يجعلها من الأصوات المغلقة.

وعلى ذلك فإن الدال من أصوات القلقلة (قطب جد) وهو النظير للمجهور للتاء وليس بينهما فرق إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان مع الدال أثناء نطقه.

ثانياً : صوت الضاد :

يوصف صوت الضاد بأنه صوت صامت، أسناني لثوى انفجارى مجهور مفخم، فهو إذن النظير المجهور للطاء، ولا فرق بينهما إلا أن الطاء صوت مهموس والضاد صوت مجهور، كما أنه لا فرق بين الدال والضاد مطبق (مفخم) والدال لا إطباق فيه وهذا الوصف يختلف عن وصف القدماء فى نقطتين.

أما الأولى فتتعلق بمخرج الضاد فقد رأى سيبويه وابن جني وغيرهما أنها تلى مخرج الجيم والشين والياء، فى حين يرى أن مخرجه هو مخرج الجيم والشين وسمى الثلاثة باسم الأصوات الشجرية[١].

وهذه الأصوات عندهم تخرج من وسط الحنك وهذا على كل حال مختلف عما ننطق به الضاد لأن مخرجه الآن من مخرج الدال والتاء والطاء وهى أصوات أسنانية لثوية.

أما عن وصفهم فيمكن تفسيره بأحد احتمالين.

---

[١] العين ١ /٦٥

أما الأول فهو أن القدماء قد جانبهم التوفيق فى تحديد مخرج الضاد تحديداً دقيقاً وهذا الاحتمال لا نميل إليه.

أما الاحتمال الثاني هو أن يكون وصفهم سليماً ولكن الضاد التى نطقوا بها تختلف عن الضاد التى ننطقها، أى أن الضاد قد أصابها شئ من التطور أو التغير، فسيبويه يقول : ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سينا، والظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها شئ غيرها"[١].

فالنص السابق يشير إلى الطاء بأنها النظير المفخم للدال، على عكس نطقنا إذ تقع فيه الضاد موقع النظير المفخم للدال، ويرجح اختلاف النطق بين القدماء ونطقنا قول ابن جني : "فإن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر أو من كليهما"[٢].

فكأنها صوت جانبي كاللام تماما، بل يروى أن عمر بن الخطاب كان ينطق بها من شدقية، فالضاد قد ميزت العربي عن غير العربي وبخاصة عندما دخل الإسلام قوما من غير العرب فصعب عليهم نطق الضاد كما ينطقها العربي القح، ولذا كثر فيها التبديل والتغيير، ولعل هذا هو السبب فى تسمية اللغة العربية بلغة الضاد. والقدماء لم يذكروا الضاد ضمن الأصوات الشديدة (أجدت طبقك).

---

(١) الكتاب، ٢ / ٤٠٦

(٢) سر الصناعة ١/ ٥٢

وهذا يعني أن الضاد القديمة يمكن أن تندرج تحت نوعين من الأصوات بحسب ممر الهواء عند النطق بها، فهى عند القدماء جانبية لأن هواءها ينحرف إلى جانبي الفم كما جاء فى كلامهم من أن الرواة كان يضربون مثلاً " لبلاغة عمر أنه كان يستطيع أن يخرج الضاد من أى شدقية شاء"[١] وهذه الضاد كما ذكر القدماء صوت رخو[٢].

وعلى هذا الوصف كانت الضاد وسطا بين الضاد التى ننطقها والطاء وهى تشبه الضاد المنطوقة فى بعض اللهجات العربية فى العراق والكويت وتميل إلى القول بتطور الضاد، فقد أصابها شئ من التطور، فالأتراك من ينطقونها ظاء فى نحو (حظرتنا) بلا تفخيم، ومن الناس من ينطقها كالدال وغيرهم كالطاء.

كما أن بعض الناس ينطقها دالاً مفخمة وبعضهم ينطقها دالا عادية وأخيرا ينطقها بعضهم لاما مفخمة"[٣].

ومازلنا نسمعها من أصل الخليج فى السعودية من ينطقها (ظاء). مفخمة فيقولون (أيظا) والرياظ بدلاً من أيضا والرياض وهكذا نسمعها من الليبيين، (مثل الحنضل والحنظل)[٤].

---

(1) شوقي صنف، البلاغة تطور وتاريخ ص ١٧، ٢٤
(2) الكتاب ٤٠ / ٤٠٦، سر الصناعة ١ / ٢٢٤
(3) يوهان فك، العربية، ص ١٠٢، ١٠٣ وانظر النشر ٢١٩/١
(4) لإبدال ٢ / ٢٧٠

ثالثاً: التاء

يوصف صوت التاء بأنه صوت صامت، أسناني لثوي، انفجارى (شديد) مهموس مرقق،ويتم نطقه بإلصاق طرف اللسان بداخل الثنايا العليا ومقدمة اللثة و بتخفيض مؤخر اللسان وإقفال المجرى الأنفي،وفتح الأوتار الصوتية إلى درجة تمنع الذبذبة من الحدوث ولذا يمتنع الجهر فى التاء. وقد يتبعها احتكاك بسيط فى بعض اللهجات الحديثة، فتبدو إذ ذاك صوتا مركبا من شدة تتبعها رخاوة، وقد يجهر صوت التاء إذا وليها زاى كما (يدزحم) بدلاً من (يتزحم) والتاء تدخل فى بناء الكلمة العربية باعتبارها وحدة صوتية، فتكون حرف أصليا فى الاسم والفعل والحرف وتكون مبدله عن الواو والياء فى صيغة (افتعل) نحو (اتصل وأتاس).

وذكر سيبويه أن التاء والدال فى (ستة) مبدله والأصل (سدس)، وتبدل من الياء فى (أسنتوا) أى أتى عليهم الحول أو السنة[1].

أما التاء الزائدة فتأتي فى صيغة (افتعل) ومشتقاته مع ملاحظة أن هذه التاء تقلب فى نحو (ادفع وادكر وازدحم) وتقلب طاء فى نحو (صبر وضعن وظلع وظلم) ويجوز قلب الطاء ظاء فى نحو (اظلم) وكذا فى تصاريف هذه الأفعال.

---

[1] الكتاب ٤ / ٢٣٩

وتأتى التاء زائدة فى صيغة (تفعل) نحو (تقدم) وتصاريفها، وفى صيغة (تفاعل) وتصاريفها نحو (تقابل).

وفى صيغة (استفعل) وتصاريفها فى صيغة تمفعل نحو (تمسكن) وتصاريفها. كما تأتى التاء فى الجمع (أفعله) (وفعله) والمصادر على وزن (تفعيل) وتفعله نحو(تكريم وتزكية)، وفى صيغة تفعال وتفوعل وتفعول[١].

وتكون التاء زائدة فى أول الاسم (تتفل)، وتكون رابعة فى (سنبته) وخامسة فى (عفريت) وسادسة فى (عنكبوت).

وتزيد لمعنى صرفى نحو تاء المضارعة فى (تقوم) وتدل على المؤنث فى (قامت) وتلحق التاء بالاسم لتدل على التأنيث ولتدل على معان فرعيه أهمها :

- التاء تأتي للفصل بين جنس المذكر والمؤنث (أمرؤ وامرأة) (فتي فتاة)
- التاء تأتي للفصل بين صفة المذكر والمؤنث (قائمة – صحيحة – معلومة – قتالة).
- التاء تفصل بين المفرد واسم جنسه الجمعي نحو(ثمرة وتمر) وسفينه وسفين.

---

[١] الكتاب، ٤ / ٣١٧، ٤ / ٣٨٦

- التاء تأتي فى صفة المذكر للمبالغة نحو راوية، علامة، هلباجة وعقاقة).
- التاء تلحق بالمؤنث الحقيقى لتأكيد تأنيثه نحو (ناقة ونعجة).
- التاء تلحق بالأعداد من ثلاثة إلى عشرة لأنها بمثابة أسماء جموع نحو (زمرة وفرقة) إذا كان المعدود بعدها مذكر وتحذف إن كان المعدود مؤنثا، فهى تفرق بين المذكر والمؤنث.
- تلحق التاء بالمذكر الذى أصله مؤنث نحو (حمزة) وتعنى بقلة، وطلحة وتعنى شجرة.
- تلحق التاء الاسم المجموع للدلاله على تعريبه نحو (جورب وجواربه).
- وتأتي التاء عوضا عن حذف فاء الكلمة فى (وعدة عدة)، وعن حذف لام الكلمة فى (لغة، وسنة، ومائة، ورئة). وعوضا عن حذف ياء (تفعيل) فى المعتل الآخر نحو (زكي : تزكية)
- تلحق التاء بالاسم عوضا عن حرف زائد لغير معنى، كما فى الجمع (مفاعيل) نحو (بطاريق وبطارقة) و(زناديق وزنادقة). وتكون عوضا عن ياء النسب فى المفرد عند جمعه نحو (معتزلي، ومعتزلة).
- تلحق التاء على المفرد من جنس واقع على المذكر والمؤنث (بطة وحمامة)
- تلحق التاء صيغ جموع التكسير كما فى جمع القلة (أفعله وفعله) نحو (أرغفة وفتية) وفى صيغ (فعله) نحو قضاة، وفى صيغة (فعله)

نحو (دببة) وفى صيغة (فعله) نحو سحرة) وتلحق التاء بمصادر الأفعال الثلاثية الدالة على حرفه نحو (زراعة) على وزن (فعالة) والدالة على وزن (فعله) نحو (خضرة) وفى وزن (فعوله وفعاله) مثل (شجاعة وسهولة، وهواية ولياقة، وقداسة، وخطورة).

- وتلحق التاء بعض المصادر الميمية نحو (مهلكة ومخافة – ومحبة ومكرمة ومهابة)

- تلحق التاء مصادر نحو (مفاعلة) كمقاتلة و(فعلله) نحو زلزلة.

- تلحق التاء بعض صيغ اسم الآله على (فاعله) مثل (طائرة) و(مفعلة) نحو منقلة، وفعالة نحو (دبابة).

- تلحق التاء لزوما بالمصدر الصناعي بعد الياء المشددة نحو (إنسانية، وحشية).

- وتلحق التاء بعض أسماء المكان نحو (المزلة) أى موضوع الزلل، ويقال أرض مسبعه ومأسدة ومذابة، اى يكثر بها السباع والأسود والذئاب.

- وتلحق التاء باسم المرة والهيئة (فعله) نحو (ضربة وجلسة).

ولسنا نريد الدخول فى الخلاف الذى يدور حول هذه التاء فى آخر الاسم أهي تاء كما رأى البصريون على اعتبار وصل الكلام، أم هاء باعتبار الوقف عليها كما يرى الكوفيون، فكلا الرأيين يمثل جانبا منها إلى جانب أن بعض العرب ينطقها تاء دائما.

وكذا خلافهم حول التاء فى (أخت وبنت وكلتا واثنتين) أهى تاء أصلية أم زائدة للتأنيث، ويمكن القول بأنها عوض عن أصل – وفى نفس الوقت علامة تأنيث، إذ لها ما يقابلها فى المذكر (أخ، وابن، وكلا، واثنان وأخيرا تكون التاء مبدلة عن السين فى نطق بعض القبائل اليمنية فيما يعرف فى اللهجات القديمة باسم ظاهر (الوتم).

حيث يقولون (النات) بدلاً من (الناس) وذلك لتقارب مخرجيهما، وكون الصوتين مهموسين، فلا يختلفان إلا فى شدة التاء ورخاوة السين، ورغم ذلك التقارب بينهما إلا أن هذه اللهجة لم تشع قديماً ولا حديثاً.

رابعاً: صوت الطاء :

يوصف صوت الطاء بأنه صوت صامت أسناني لثوي انفجاري (شديد) مهموس مفخم، هذه هى أوصافه كما ينطق فى الفصحى المعاصرة، ويتم نطقه بإلصاق طرف اللسان بالأسنان العليا من داخلها، ومقدم اللسان بأصول الثنايا أى اللثة، ويرتفع مؤخرة اللسان فى ذات الوقت فى اتجاه الطبق، وهذا ما يسمى بالأطباق، ويتأخر اللسان قليلاً إلى الجدار الخلفي للحلق وهذا ما يسمى بالتحليق، ويرتفع الطبق حتى يسد المجرى الأنفى. وفى نفس الوقت لا تتذبذب معه الأوتار الصوتية.

بيد أن هناك نقطة خلاف بين الوصف السابق للصوت كما ننطقه الآن، ووصف القدماء له، إذ عدوا الطاء صوت مجهورا، فهل أخطأ القدماء فى وصفهم ؟ أم هل تطور صوت الطاء حتى وصل إلى ما هو عليه الآن ؟ هذان رأيان فبعضهم يرى أن (الطاء مهموسة اليوم، مجهورة عند القدماء، ونطق الضاد العتيق قد انمحى وتلاشى تماما " [١].

ويرى غيره أن " سيبويه يعد من المجهورة الطاء والقاف، وفى لفظ عصرنا لا نصيب للأوتار الصوتية فى إنتاجهما، ولكن ذلك لا يصح إلا على لفظ المدارس (يقصد الفصحى الحالية)، وأما اللهجات فتخالفها مخالفة شديدة، فإن سكان الجزيرة العربية مثلاً يلفظون الطاء كأنها ضاد المصريين، والقاف كأنها جيم المصريين : فيقولون مثلاً : (وجع فوجنا مضر) يعني : وقع فوقنا مطر) أو (قضعت ورج) يعني : قطعت ورقة، ومثل ذلك يصح عن غير لهجة جنوب جزيرة العرب من اللهجات العصرية " [٢]. وهذا يعنى بوجود التطور فيها استنتاجا من وصفهم أنها كانت صوتا يشبه الضاد ".

---

(١) التطور / النحوى لبرجشتر سر ص ٩
(٢) شادة، علم الأصوات عند سيبوبة وعندنا ص ١٣

وهنا يتضح معنى قول ابن الجزرى :إن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة : وليس من المحتمل أن يكون القدماء قد خلطوا فى وصفهم بين صفة الجهر والهمس فيما يتعلق بهذا الصوت ولكن الذى أرجحة أن صوت الطاء كما وصفها القدماء كان يشبه الضاد الحديثة ولعل الضاد القديمة كانت تشبه ما نسمعه الأن من العراقيين فى نطقها ثم تطور الصوتان فهمست الأولى، واصبحت الطاء التى نعرفها الآن كما اختلفت مخرج الثانية وصفتها فأصبحت تلك الضاد الحديثة"[١].

وفى مقابل هذا الرأى القائل لتطور الطاء رأى آخر يرى أنها لم تتطور بل أخطأ القدماء فى وصفها يقول: " أما الطاء التى وصفها لنا القراء القدماء مجهورة على ما رأو وهذا يحتاج إلى قليل من المناقشة، ففى بعض اللهجات العامية المعاصرة صوت من أصوات الطاء يمكن وصفه بأنه مهموز، والإيضاح ذلك نقول : إن طرف اللسان ومقدمه يتصلان فى نطقه بالثنايا واللثة ويعلو مؤخرة اللسان، ويتراجع إلى الخلف فى اتجاه الجدار الخلفى للحلق، ويقفل المجرى الأنفي للهواء الخارج من الرئتين، بخلق اتصال بين الطبق وبين الجدار الخلفي للحلق، وفى نفس الوقت تقفل الأوتار الصوتية، فلا تسمع بمرور الهواء إلى خارج الرئتين، وبذلك تتكون فى داخل الفم

---

[١] د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ٥٨

والحلق يختلف ضغط الهواء فيها عنه فى الرئتين فى الخارج. وفجأة يتم انفصال الأعضاء المتحركة التى وضعنا اتصالها فى وقت معاً، فيندفع هواء الرئتين إلى الخارج ويندفع الهواء الخارجي إلى الداخل فيحدثان بالتقائهما أثر صوتياً هو صوت الطاء، كالتى تنطق فى بعض لهجات الصعيد مثلاً، ومعنى كون الطاء مهموزة هنا أنه يصحبها إقفال الأوتار الصوتية حين النطق، فأصبح عنصر الهمز جزءاً لا يتجزأ من نطقها. هذه الطاء مهموسة قطعاً لأن إقفال الأوتار الصوتية لا يسمح بوجود الجهر. ويرجح عندي أن الطاء العربية الفصحى القديمة، التى وصفها القراء كانت فى صوتها وفى نطقها بهذا الوصف، ثم الغرابة صوتها على السمع أخطأ النحاة والقراء فجعلوها مجهورة فى دراستهم وجعلوا الدال مقابلاً مرققاً لها. أضف إلى ذلك أن النحاة والقراء فى القديم قد وضعوا قاعدة قياسية تقول : إن كل صوت من أصوات القلقلة مجهور شديد، وهذا ما جعلهم يخطئون الصواب، لا فى صنفه الطاء فحسب بل فى وصف أصوات مهموسة أخرى بالجهر كالقاف والهمزة[1] ويمكن التوفيق بين الرأيين السابقين فنقول بأن نطق هذه الطاء القديمة كان يشبه نطق الطاء فى أيامنا مع إضافة عنصر جديد وهو إقفال الأوتار الصوتية حال النطق بها، ومن ثم لا يمر الهواء خلال الحلق والفم وبالتالي يختلف ضغط الهواء فى هاتين المنطقتين وفى خارج جهاز النطق عنه خلف الأوتار الصوتية وفجأة تنفصل الأعضاء فى نطقها بعضها عن بعض فيخرج

---

[1] د. تمام حسان، مناهج البحث فى اللغة، ص ٩٤، ٩٥

الهواء المضغوط خلف الأوتار بقوة ملتقيا مع الهواء المندفع من الخارج فى الفم نستمع طاء مهموزة glottalized نتيجة إقفال الأوتار الصوتية حال النطق بها. وهذا الصوت حينئذ من الصعب وصفة بالجهر أو الهمس.

أما عدم الجهر فواضح لأن الجهر لا يحدث أبداً عند إقفال الأوتار فالهمس إذن ليس معناه عدم الجهر، ومن ثم عدوا هذه الطاء مهموسة كما فعلوا فى الهمزة ذاتها. وإذا كان هذا هو ما وقع فى نطقهم لم يستطيعوا إدراك خوصها فظنوها مجهورة أو النظير المفخم للدال.

خامساً :أصوات الصفير

الزاى والسين والصاد

أما صوت الزاى فيوصف بأنه صوت صامت أسناني لثوي احتكاكي (رخو) مجهور مرقق. ويتم النطق بالزاي بوضع طرف اللسان ضد الأسنان السفلي ومقدمة ضد اللثة مع الطبق إلى أن يلتصق بالجدار الخلفي للحلق فيسد المجرى الأنفي، ويتم كل ذلك مع وجود ذبذبة فى الأوتار، والمقابل المفخم لصوت الزى هو صوت الظاء غير المفخمة كما هى فى العامية المصرية، أما مقابلة المهموس فهو صوت السين.

والزاى مع السين والصاد تسمى بالأصوات الأصلية، وكتب القراء تسميها أصوات الصغير، ولكن المحدثين يرون أن الأصوات والتى تحدث فى نطقها ذلك الصفير أو الحفيف هى هذه الأصوات الثلاثة وهى الأكثر صغيراً، ويضيفون إليها (التاء والذال والشين والظاء والفاء) ولكن هذه الأخيرة أقل من الأولى فى صفيرها، إذ يصدر عن هذه الأصوات صفيراً منخفضاً بالقياس للزاى والسين والصاد.

وهذا الصفير يتوقف على ضيق المجرى الهوائى عند مخرج الصوت، فعلى قد ضيق المجرى عند المخرج يكون علو صفيره ووضوحه، وأضيق ما يكون عليه المجرى هو عند نطق الزاى والسين والصاد.

أما صوت السين فهو صوت صامت، أسناني لثوي، احتكاكي (رخو) مهموس مرقق. ويتم النطق به بوضع طرق اللسان بحيث يلتصق بحيث يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ليسد المجرى النفى فى طريق الهواء الخارج من الرئتين، ثم مع خفض مؤخر اللسان، وفتح هو الزاى، أما مقابله المفخم فهو الصاد.

وقد يختلف مخرج السين باختلاف اللهجات، وربما باختلاف الأفراد ففي بعض اللهجات يشتد صغير السين، وقد يختلف باختلاف وضع اللسان معه، فمخرجه فى كتب القراءات من طرق اللسان فريق الثنايا السفلي لكن الكثيرين ينطقونه الآن من أول اللسان مشتركا معه طرفه أحياناً، حين يلتقي بأصول الثنايا العليا. وتتميز السين

أيضاً بأنها عند ضيق، فتنتج السيف العربية وهو صوت عالي الصفير.

أما صوت الصاد فهي فهي صوت صامت أسناني لثوي احتكاكي (رخو)، مهموس مفخم. ويتم النطق به بوضع طرف اللسان ضد الأسنان السفلي، ومقدمه ضد اللثة، ورفع مؤخر اللسان فى اتجاه الطبق (وهذا ما يسمى بالأطباق)، وبرجوعه فى اتجاه الجدار الخلفي للحلق (وهو ما يسمى بالتحليق)، حتى ينتج عن الحركتين كليهما الأثر السمعي المسى بالتفخيم، وفى نفس الوقت تنفتح الأوتار الصوتية فلا يكون فيها جهر. والمقابل المجهور لصوت هو الزاى، والمقابل المرقق لصوت الصاد هو السين. وربما جاء الصاد مجهوراً فى بعض المواقع فى لهجة القاهرة إذا تلاه صوت أسناني لثوى مجهور كما فى (قصدى – ناقص زعل)[١].

وعلى كل فإن صوت الصاد هو أحد أصوات الإطباق، فعند النطق به يتخذ اللسان وضعاً مخالفا لوضعه مع السين، إذ يكون مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى مع تصعد أقصى اللسان وطرفة نحو الحنك، ومع رجوع اللسان إلى الوراء قليلاً مثل كل الأصوات المطبقة.

وبعض العرب يقلبون صوت الصاد زايا وهى ظاهرة كانت شائعة فى طئ حيث يقولون (الزقر) بدلا من الصقر.

---

[١] د. تمام حسان، مناهج البحث فى اللغة ص ١٠٠

المبحث الثامن: الأصوات الأسنانية

التاء والذال والظاء

والقدماء يسمونها بالأصوات اللثوية، ولكن الدق أن تسمى بالأصوات بين الأسنانية هذا عن مخرجها.

أما صوت الثاء:

فيتصف بأنه صوت صامت أسناني احتكاكي (رخو) مهموس مرقق، ويتم نطقه كالذال بوضع طرف اللسان بحيث يلاصق أطراف الأسنان العليا، وبإقفال المجرى الأنفي برفع الطبق بحيث يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، وجعل الأوتار الصوتية مفتوحة حتى لا يكون هناك جهر، فهو إذن صوت بين أسناني احتكاكي مهموس، فعلى ذلك نجد أن مخرجه قد تأخر إلى الخلف فى بعض اللهجات الحديثة كما فى اللهجة المصرية، فقلب إلى تاء فى نحو (تعلب) وإلى سين فى (ثورة) بل إن أكثر المثقفين ينطقونه سينا دائماً إلا فى قراءة القرآن.

وقد نجد الكلمة الواحدة تأتي بالتاء مرة تدل على معنى وتأتي بالسين مرة لتدل على معنى آخر نحو (تقيل) بمعني (ثقيل) وسقيل بمعني (ثقيل الدم) أى شخص غير محبب للنفس وكذا فى نحو (ثبات) فهى تقال تبات أو سبات.

وعلى كل فقد ظلت لهجات عربية خليجية وغيرها تحافظ على النطق الفصيح للثاء، فهذه الأصوات الثلاثة تتطلب إخراج

اللســان بـين الأسـنان، وهـى عمليـة تسـهل فـى لهجـات وتصـعب فـى أخرى.

أما صوت الذال:

فهو صوت صـامت أسناني احتكاكي (رخـو) مجهور مرقق لا فرق بينه وبين سابقة إلا أن التاء ومهموسة والذال مجهورة. فالفرق بينـه وبين الظـاء هو الفرق بين الترقيق والتفخيم، فليس فـى نطق الذال إطباق ولا تحليق ومن ثم ليس فى نطقها تفخيم.

وعلـى كل، فإن الذال يتم نطقه بوضـع طرف اللسـان بحيث يلاصـق أطراف السنان العليـا، وبإقفـال المجرى الأنفي برفـع الطبق بحيث يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، مـع تذبذب الوترين الصـوتيين. وقد تطور صوت الذال فى بعض اللهجـات الحديثـة، كمـا فـى العاميـة المصرية فأصبح نطِقه دالا كما فى (ديل) بدلا من (ذيل) أو زايـا كمـا فى (زلك) بدلا من (ذلك).

أما صوت الظاء:

فهو صـوت صـامت أسناني احتكـاكي (رخـو) مجهـور مفخم، وهذا الصوت يتكون كمـا كـان يتكون صـوت الذال، أى يتم النطـق بـه بوضـع طـرف اللسـان بحيث يلتصـق بـأطراف الثنايـا العليـا مـع رفـع مؤخر اللسان فى اتجاه الطبق وتقريبه من الجدار الخلفي للحلق، وسـد المجـرى الأنفـي برفـع الطبـق حتـى ليضـيق بالجـدار الخلفـى للحلـق،

وتضيف الأوتار الصوتية تضييقاً يسمح بوجود ذبذبة فيها ينتج عنه الجهر.

ومازال نطقه هكذا في كثير من اللهجات العربية الخليجية وغيرها.

بيد انه في بعض اللهجات كاللهجة المصري قد أصبح زايا مفخمة، وفي لهجات لا يفرق بين الضاد والظاء كما في كلمتي (ظابط ومظبوط) بدلا من ضابط ومضبوط والقدماء يشيرون إلى الضاد الضخمة يقول ابن يعيش " الضاد الضعيفة من لغة قوم إعتاصت عليهم، فربما أخرجوها طاء، وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء" [١] ومن الخلط بين أصوات الإطباق أيضاً خلطهم بين الضاد والطاء، فقد روى القالي أن رجلاً " قال لعمر بن الخطاب - من – يا أمير المؤمنين أيضحي بضبى ؟ قال وما عليك لو قلت : بظبى ؟ ! قال : إنها لغة قال : انقطع العتاب، ولا يضحى بشيء من الوحش " [٢].

كما سجل إلى خط مثل هذا الخلط فقال :" وزعم يزيد مولى ابن عون قال: كان رجل بالبصرة له جارية تسمى : ظمياء، فكان إذا دعاها قال : ياضمياء ياضمياء، فقال ابن المقفع : قل : ياضمياء، فنادها :

---

[١] شرح المفضل ١٠/١٢٧، الكتاب ٢/٤٤

[٢] نيل الأمالي، ص ١٤٣

ياضمياء، فلما غير عليه ابن المقفع مرتين أو ثلاثا، قال له : أهى جاريتى أو جار يتك ".

ويرى برجشتراسر أن نطق الظاء كان قريباً من نطق الضاد وكثيراً ما بطابقتا وتبادلتا فى تاريخ العربية، وأقدم مثال لذلك فى القرآن الكريم كلمة (ضنين) فى سوة التكوير فقد قرأها كثيرون بالضاد مكان الضاد مع أن المعنى مختلف فهى بالضاد بمعنى (بخيل) وبالظاء بمعنى (متهم)[1].

وربما كن الانسجام بين فواصل الآيات سببا فى ذلك كما فى (غليظ) و(عريض)[2]

[1] مكى العوش، الكشف ٢/٣٦٤، تفسير القرطبى ١٩ / ٢٤

[2] الآيتات فى فصلت / ٥٠، ٥١ وتنتهى كل بكلمة منهما

المبحث التاسع: الأصوات الاسنانية الشفوية

وليس منها فى العربية إلا صوت الفاء، فهو صوت صامت أسناني شفوي احتكاكي (رخو) مهموس مرقق. ويتم نطقه بوضع أطراف الثنايا العليا على الشفة السفلي، ولكن بصورة تسمح للهواء أن ينفذ من خلالها، ومن خلال الثنايا مع عدم السماح للهواء بالمرور من الأنف و تتذبذب الأوتار الصوتية خلال النطق بالفاء، وليس للفاء العربية نظير مجهور، ولذا يخطئ بعضهم فى نطقها مجهورة كما فى الصوت الأجنبي [١] فى كلمة نحو victory وعلى كل وصوت الفاء صوت احتكاكي لضيق مجرى الهواء فى مخرج الصوت بين الشفة السلفى وأطراف الثنايا العليا، ولذا اسمع نوعاً من الخفيف وهو الذى يميز الفاء بالرخاوة.

والإبدال فى صوت الفاء قليل لأنه ليس من أصوات الإبدال فى العربية (هدأت موطيا)، ولكن سمع إيدالها فى بعض الكلمات فهى تبدل من الحرف الذى بين إلغاء والياء (v.p) فى المعربات نحو الفرند والفندق [٢] وربما أبدلت من الباء يقول الأزهرى : وسمعت أعرابيا من بنى حنظلة يسمى (المصطبة) (المصطفة) بالفاء وقد تبدل كذلك الحديثة فى بعض المواقع بتأثر الأصوات المجاورة فى نحو (يفزع – أفغاني – أفظع).

---

(1) الكتاب ٤ / ٦٠٠٣

(2) اللسان (ثلغ) ٩/١٩٣، الإبدال، ١٨٢

المبحث العاشر : الأصوات الشفوية

البـــاء والميـــم

أولاً : البـاء، يوصـف صـوت البـاء بأنـه صـوت صـامت شـفوى انفجارى مجهور مرقق. ويتم نطقه بضم الشفتين وإقفال ما بين الحلق والتجويف الأنفي برفع الطبق على حين توجد ذبذبة فى الأوتار الصوتية، حيث يمر الهواء أولاً بالحنجرة فيتحرك الوتران الصوتيان ثم يتخذ الهواء مجراه بالحلق والفم حتى ينحبس عند الشفتين المنطبقتين انطباقاً تاماً، فإذا انفجرت الشفتان فجأة نسمع ذلك الصوت الانفجارى المجهور المسمى بصوت الباء. ولقد حرص القدماء على الجهر بصوت الباء وهو مشكل بالسكون أو عند الوقف عليه، فأضافوا إليه صوت لين قصير جداً يشبه الكسرة، لأن الباء فى ذلك كغيره من أصوات (قطب جد) وتلك الظاهرة سموها القلقة، حرصاً منهم على إظهار هذه الأصوات بعامة، وهذا الصوت بخاصة حتى لا يفقد ما به من جهر، وحتى لا يختلط بنظيرة المهموس وهو صوت (P) فى اللغات الأوروبية وغيرها، فهو صوت مهموس وليس صوتاً أساسياً من أصوات اللغة العربية.

أما فى اللهجات الحديثة فإن صوت الباء قد يأتي مهموساً فى وسط الكلام إذا تلاه صوت مهموس وفى آخر الكلام إذا سبقه صوت

مهموس أو صوت علة طويل كما فى نطق الكلمات (أبشع – كسب – كتاب).

وقد يأتي الباء من الأنف بمعنى أنه يتم تفجيره من الأنف بدلاً من الشفتين حين تكون الباء فى نهاية الكلام، ويتم هذا التفجير الأنفى بإبقاء الشفتين مطبقتين ثم فصل الطبق عن الجدار الخلفى للحلق فجأة فيمر الهواء قوياً فى المجرى الأنفي ويتم التفجير [1].

ثانياً : صوت الميم:

ويوصف صوت بأنه صوت الميم بأنه صوت صامت أنفي شفوى متوسط مجهور مرقق. ويتكون صوت الميم بأنه يمر الهواء بالحنجرة أولا فيتذبذب الوتران الصوتيان فإذا وصل فى مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك فسد مجرى فى التجويف النفى محدثا فى مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يسمع وفى أثناء تسرب الهواء من التجويف الأنفى تنطبق الشفتان تمام الانطباق، ولقلة ما يسمع للميم من خفيف اعتبرت فى درجة وسطى بين الشدة والرخاوة، لأن خاصية الأصوات الشديدة : الانفجار، وخاصية الأصوات الرخوة : الاحتكاك، فلا هو فى هذا ولا فى ذاك وإنما هو وسطى أو متوسط.

وعلى كل فإن صوت الميم كالنون فى أن كليهما صوت أنفي، ولذا نجد أن له أحكاما فى كتب القراءات، حيث تتحدث عن أحكام الميم الساكنة التى تشبه – إلى حد ما – أحكام النون الساكنة – كما مر

---

(١) مناهج البحث فى اللغة ص ٩١

بنا – وأهمها : إظهار الميم : وهذا هو الشائع فيها، لأن الميم أقل تأثراً بما يجاورها من أصوات، على أن القراء قد نبهوا إلى الاحتراز من إخفاء الميم مع الفاء فى نحو (هم فيها خالدون) لأن الميم فى هذه الحالة قد تميل بعض اللهجات القديمة والحديثة إلى إدغامها فى الفاء نظيراً لقرب مخرجهما.

إخفاء الميم : اختلف القراء فى مواضع الإخفاء مع الباء، وإن كان جمهور القراء يرى ترجيح إخفائها مع الباء، لأن الباء صوت شديد يؤثر فى مجاوره أكثر مما يمكن أن تؤثر الفاء فى مجاورها. ورغبة منهم فى الاحتراز من فناء الميم فى الباء ظهرت الغنة التى تشعر بوجود الميم فى نحو (يعتصم بالله).

أما غير ذلك فقد أجمعوا على ضرورة إظهار الميم بغير غنة.

وعلى ذلك فإن صوت الميم أنفي لأن هواءه يخرج من الأنف ولذا يجد المزكوم صعوبة فى نطقه، ويحولها إلى (باء) فإذا قال (مزكوم) قالها بزكوب. والميم صوت مرقق قد يفخم أحياناً حسب موقعه من السياق فى اللهجات العامية كما فى كلمة (مطر).

الفصل الثالث

" القوانين الصوتية والظواهر الصوتية "

القوانين الصوتية :

وهى التى تحدد ملامح التغيير فى لغة ما فى أصواتها وفى عصور متتابعة من تاريخ تطورها، وذلك فى أصواتها أو فى صيغها أو فى دلالاتها. فهى تعبر عن علاقة بين حالتين متتابعتين للغة واحدة فى وسط اجتماعي معين، وهذه القوانين ليست كالقوانين فى علم الطبيعة أو الكيمياء التى تعرف الضبط التام والجمع والمنع، بل أنها فى المجال اللغوى ليست قواعد ثابتة تماماً وذلك لتداخل هذه العصور من جهة ولتداخل لهجات اللغة من جهة أخرى، فليس هناك حد فاصل بين عصر وعصر، أو بين لهجة ولهجة لتداخل كل منهما فى الآخر، فلا جديد يأتي إلا من بطن القديم، واللهجات القديمة يبقى أثرها واضحاً فى اللهجات الحديثة. ولسنا مبالغ إذا قلنا إن معظم الاختلافات بين الفصحى ولهجاتها إنما هى اختلافات صوتية، وقد مر بنا كثيراً من مظاهر الاختلاف فى هذا بين اللهجات قديمها وحديثها من جهة واللغة الفصحى من جهة أخرى، بل إن مظاهر التطور الصوتى يظهر فى نطق بعض أصوات اللغة الفصحى قديماً وحديثاً. وليست مستويات اللغة (الصوتى والصرفى والنحوى، والدلالى) متساوية فى سرعة قبول التطور، فالنظام الصوتى يستقر عن الإنسان من سنى طفولته الأولى، ويستمر معه طوال حياته كما

تعودت أعضاؤه الصوتية على النطق، إلا إذا كان أثر التعلم فيه واضحا فيتخلص من عاداته النطقية الأولى إلى النطق المثالى فى اللغة التى يتعلمها. أما فى المستوى الصرفى فغالباً ما تبقى الصيغ القديمة جنباً إلى جنب مع الصيغ الجديدة ولا يمكن التخلص من القديم إلا بعد حقبة أول من الزمن وقد لوحظ أن التطور الصوتى يتميز بأنه تلقائى وغير متعمد وانه له صفة مجتمعية لا فردية، كما أنه يسير ببطء وتدرج، إذ لا يحدث التغيير الصوتى فجأة بين ليلة وضحاها وإنما يظهر أثره بعد أجيال، كما انه يقتصر على بيئة معينة دون أخرى كما أنه محدد بزمان معين يطول أو يقصر، كما أنه فى الغالب مطرد يشمل كل الكلمات التى تحتوى على هذا الصوت أو قل فى أكثرها.

وهنا تبرز أهمية علم الأصوات التطوري فى ومن هذه التغيرات للصوتية؛ فمن المعروف أن نطق لغة ما لا يمكن على حالة واحدة مع مرور الزمن، وإنما تتعرض فى فترات تاريخية للتغيرات صوتية عديدة، تكون شريعة فى أحيان وبطينة فى أحيان حركة على حسب حركة المجتمع واتجاهات. وعلى كل فإن اللغة المكتوبة أكثر بقاء ومحافظة. ومن اللغة المنطوقة التى يبدوا أن عوامل التغير الصوتى فيها أسرع. كما تبرز أيضا أهميته دور علم الأصوات التركيبى، فمن المؤكد أن عددا كبيرا من الظواهر الصوتية التاريخية فالشيء عن ميل إلى المماثلة، إلا أنها من ناحية أخرى لها بعض

المظـاهر المضـادة للماثلـة كـالتنوع والمخالفـة والتبـادل، والقلـب المكانى. وهنا لابد أن نشير إلى أنه لا صوت يتطور وحده بمعزل عن الأصوات الأخرى فى نفس النظام، ذلك لأنه فى إطار أى نظام لغوى نجد كل شـيء ومتماسك بـالآخر ويمكن أن نجمل أهمل القـوانين الصوتية فى النقاط الآتية :

- قانون الظاهرة التوازنية.
- قانون التكرار والشيوع.
- قانون الاختزال (اليسر والسهولة)
- قانون الجهد الأقوى، أى الصوت الذى يملك هيمنة فى صفاته وقوة يجعله يؤثر فى مجاورة الأضعف.
- قانون نسب التصارع ويؤدى إلى القلب المكانى.
- قانون المؤثرات الخارجية.

أما عوامل تطور الأصوات اللغوية فهى :

حاول العلماء تحديد عوامل تطور الأصوات فأرجعوها لأسباب لغوية وغير لغوية، أما عن العوامل غير اللغوية فتتمثل فيما يأتى

١- اختلاف أعضاء النطق، وهذه النظرية تقول أن سبب التطور الصوتى راجع إلى اختلاف أعضاء النطق عند البشر، وهى نظرية معترض عليها لأن أعضاء النطق فى البشر واحدة، بل أن أعضاء النطق تتحد فى جميع أجزائها عند بنى آدم جميعا.

٢- الحالة النفسية، وترى هذه النظرية، بأن الشعوب التى تميل إلى الدعة والاستقرار تميل أصوات لغتها إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة، فإذا اعتدت بقوتها وجبروتها مالت إلى العكس " غير أنه قد يستأنس لهذا الرأى بما نعرفه عن اللهجات العربية القديمة وميل البيئات المختصرة فى جزيرة العرب إلى الأصوات الرخوة، فى حين أى البيئات البدوية كانت تميل إلى الأصوات الشديدة" [1] إلا أن ذلك من الأنسب قوله فى العامل الثانى.

٣- البيئة الجغرافية : فمن المحدثين من يرى أن للطبيعة الجغرافية لبيئة اللغة أثراً قوياً فى نوع التطور الصوتى، من بيئة صحراويه إلى ساحلية وهكذا.

أما الأسباب. أو العوامل اللغوية فهى تتمثل فيما يأتى :

١- نظرية الشيوع، فالصوت إذا شاع استعماله كان عرضه لظواهر لغوية مثل الإبدال والإدغام، وقد يتعرض للسقوط من الكلام.

٢- نظرية السهولة، وتشير إلى أن الإنسان يميل إلى الاقتصاد فى المجهود العضلي مع الوصول إلى ما يهدف إليه من إبراز المعانى.

٤- مجاورة الأصوات، حيث يؤثر بعضها فى بعض أحياناً.

٥- انتقال النبر، وذلك بالضغط على مقطع ما.

---

[1] د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ٢٣٤

وعلى أية حال، فأنه لا يمكن حصر التطور الصوتي في لغة ما ولهجاتها إلى عامل واحد، بل أنه قد يكون راجعاً إلى تضافر مجموعة من العوامل، وقد نعجب إذا نظرنا إلى هذه القوانين أو عوامل التطور فنجد فيها شيئاً من التعارض، فمثلاً إذا قلنا إن قانون الاختزال أو اليسر والسهولة، أو نظرية من المجهود العضلي في نطق بعض الأصوات الصعبة كالهمزة ومن هنا مالت كثير من اللهجات إلى تخفيفها أو تسهيلها، فإننا نجد في المقابل لهجات أخرى تؤثر الهمزة بل تجعل القاف همزة، والأكثر من ذلك أن نجد لهجات تقلب صوت اللين همزة - كما مربنا - هذا يدفعنا إلى القول إلى السهولة والصعوبة أمر نسبي فما تراه سهلاً قد يراه غيرك صعباً والعكس صحيح إن معظم هذه العوامل راجع إلى التعود اللغوي في الصغر فما اتقوه المرء هو الأيسر، وما لم يتعوده هو الأصعب فالمصريون يجدون صعوبة في تعلم نطق التاء والظاء والذال في لغتهم الفصحى، لأنهم لا يخرجون اللسان فيها فهي أصوات بين أسنانية وتؤثر لهجتهم المحلية في ذلك ولم يسلم من ذلك مثقفوهم إلا بعناء وأي عناء، ولولا حرص بعضهم على النطق الصحيح للقرآن لما استطاعوا أن يغيروا ما تعودوه إلا بعد دربة وممارسة طويلة. وبعض الخليجيين وغيرهم يجد معاناة في نطق الضاد فهي عندهم في لهجتم (ظاء) بل يجد المصريون صعوبة في تعلم أصوات لغة أجنبية فنجدهم يخطئون في نطق (th) ثاء أو ذالا، ونطق (J)، ونطق صوت (v)، (p) لأنها ليست في لغتهم الأم أو بالأخرى ليست في لهجتهم المحلية.

ولقد كان الإسلام وهو دين الفطرة ملائماً لهذه الفطرة للإنسانية، فأجاز رسوله العظيم (ﷺ) قراءة القرآن على سبعة أحرف، وإن كنا بالتحديد لا نعرف المقصود بهذه الأحرف السبعة فهي على كل حال تدل على عدم إرغام العرب الذين تتنوع لهجاتهم في الوقوف على قراءة واحدة قد يجدون فيها صعوبة لبعدها عن لهجتهم الأصلية.

أضف إلى ذلك الحامل الثقافي، فالعربية انتشرت بين القبائل معظمها يعاني من الأمية، والله قد أرسل في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وكان لشيوع الأمية الأثر البالغ في تغير الأصوات وتبدلها، ومازلنا نسمع الأميين في أيامنا يبدلون صوت محل صوت مشابه أو مماثل لأنه يعتمدون في ذلك على السماع فقط، ولا يعني ذلك أن الاعتماد على المكتوب فقط يجعلنا نتخلص من ذلك، فالمكتوب أيضاً غرضه للتصحيف والتحريف وإن كانت الحروف المكتوبة أبقى أثراً وأكثر محافظة من المنطوقة. وإنما نقول إن اللغة إذا انتشرت بجانبيها المنطوق والمكتوب معاً فإن أصواتها لا تتغير كثيراً بحيث لا نجد نطقاً لقبيلة ونطقاً آخر لقبيله مجاورة لها. فانتشار الأمية قديماً كان دافعاً إلى كثير من هذه التغيرات الصوتية بل لانفعالي إذا قلنا إن الأدوية حالياً مسؤولة عن ذلك، فهي تقترب في بعض بلدان الوطن العرب إلى نحو نصف عدد سكانه، فما بالك في ذلك العصر القديم، ولذا فإن انتشار التعليم والثقافة والوعي من خلال المدارس والنوادي والجامعات

وأجهزة الأعلام، كل ذلك مما يقرب بين اللغة ولهجات، ويقلل من أثر اللهجات المحلية بأصواتها المتنوعة في اللغة الأم، فالعامل الاجتماعي والثقافي يؤثران في ذلك التطور تأثيراً بالغاً، فالقبائل المنعزلة أو المتناحرة يجعل كلاً منها. يعتزل بلهجته ويسخر من نطق الآخرين.

أما العوامل اللغوية المؤثرة في التطور الصوتي وهي ما يجب أن يهتم به اللغوي فهي راجعة إلى تفاعل الأصوات وهذا التفاعل له مظاهر عدة كالمماثلة، والمخالفة والتناوب بين الأصوات، والاشتقاق، وتغير المعنى، والتصحيف والتحريف.

والحق أننا نكاد لا نجد صوتاً من أصوات اللغة إلا دخله شئ من التغيير أو التبديل، وإن كانت الأصوات في ذلك متفاوتة فمنها ما أشار إليه النحاة القدماء وجعلوه مطرداً عند جميع العرب وهي أصوات (هدأت موطيا)، ومنها غير المطرد ويتنوع بين اللهجات، فظهرت لذلك الظواهر اللهجية التي أشار إليها القدماء والتي أشرنا إليها في ثنايا هذه الدراسة، وهذه الظواهر هي الكشكشة والكسكسة، والعنعنة، والاستنطاء والشنشنة، والعجعجة، والطمطانية، والوتم.

ولا يعني ذلك أن كل لهجة تغير كل الأصوات وإنما بعض الأصوات وقلما تأتي بصوت من خارج اللغة نفسها، فقلب الكاف إلى شين وكلاهما صوت من أصوات العربية وقلب الجيم إلى (جيم)

تطور فى صوت الجيم فى العربية، وقلب القاف إلى همزة وكلاهما صوتان عربيان مما يدفعنا إلى القول إن التطور الصوتي كان فى نطاق أصوات اللغة ولم يخرج عنها إلى أصوات لغة أخرى فى غالبه الأعم.

ولعل أكثر أصواته اللغة تغيراً يقع فى أصوات اللين قصرها ومديدها، وما حكاه القدماء من الإحالة، والفتح من إبدال أصوات اللين بعضها من بعض كثير جداً، بل هو الأكثر بين صور الإبدال الأخرى فقد أشاروا إلى إبدال الحركات فى ظل ظاهرة (الوكم) وتعنى كسر كاف الخطاب فى الجمع وهى مبنية على الضم ـ فبعض العرب يقول (بكم)، وفى المقابل نجد بعضهم يميل إلى ضم هاء الغائب فى نحو (عليهم) بدلاً من كسرها فيما يعرف بظاهرة (الوهم) ومن التغير فى الحركات أيضاً ظاهرة (التلتلة) وتنسب إلى بهراء وتعنى كسر حرف المضارعة عدا الياء (نستعين)، ولعل هذا يفسر لنا كسر همزة المضارع (إخال) فى الفصحى. ومازالت كثير من لهجاتنا المعاصرة يميل إلى كسر حرف المضارعة دائماً نقول (مين يقرا ومين يسمع).

أضف إلى ذلك إلى كثرة إبدال حروف العلة همزة فى كثير من الصيغ القياسية والسماعية كما مر بنا - وكذا إبدال الياء ألفاً فى قول بعضهم (إلاك وعلاك ولذاك) ويقصد (إليك وعليك ولديك) وكذلك قلب ألف المقصور ياء وكذلك ما يتصل بذلك من أشمام وروم.

ويلى ذلك فى كثرته وشيوعه كثرة الإبدال فى الأصوات القريبة فى أوصافها من أصوات اللين، وهما صوت النون واللام فاللام يكثر استعمالها بل هى الكثير استعمالاً بين الأصوات، ويليها فى ذلك النون التى يكثر تأثرها بمجاورها وبخاصة عند تسكينها.

ويؤدى القياس الخاطئ إلى اختلاف الحركات فى بنيه الكلمة بين لهجة الكلام والفصحى كما فى الكلمات (خرطوم – شمروخ – أزميل – برميل - بطيخ - خنزير - قنديل - كبريت - منديل - مسطرة - مروحة - مدخنة) إذ يتغير حركة أولها فى الفصحى عنه فى اللهجة. وكذا فى كلمات مثل (جميز - زبيب - كبير - جديد). وربما يسبب الانسجام الصوتى فى كسر حركة الحرف الأول منها. وقد يرجع ذلك إلى مطل الحركات (عامود) أما التغير الصوتى فى الصوامت فهو الأقل بالنسبة للتغير فى الحركات، وقد يكون ذلك مرجعة إلى التغير فى صفة صوت ما فيؤدى ذلك إلى صوت آخر يكون بديلاً عنه، ويبدو ذلك فيما يأتى:

(١) تحول الأصوات المطبقة إلى مستغلة، كتحول الصاد إلى سين فبدلا من (صقعه) أصبحت (سكعه)، وبدلاً من (لطعه) أى ضربه أصبحت (لدعه) فحولت الطاء إلى دال.

وبدلاً من (مضغ) أصبحت (مدغ) فتحولت الضاد إلى دال.

(٢) الميل إلى همس الأصوات مثل (تجرع وإتكرع) و(دهس ودعس) و(شخذ وشحت) و(نجش – نكش) (خفير وغفير)

و(التعتعة والتحتحة) والنساء بصفة خاصة يملنا إلى همس الأصوات المجهورة، ومنه قلب الحاء عينا عن هذيل (حتى وعتى).

(٣) الميل إلى الأصوات الشديدة أو الرخوة، فالباء والتاء والدال والكاف (أصوات شديدة) قد نسمعها فاء أو سينا أو زايا أو شينا وهى أصوات رخوة. والعكس أحيانا فقد يتجول الصوت الرخو إلى شديد فتحول الثاء إلى تاء عند خير فى قولهم (الخبيت) بدلاً من الخبيث، ومنه قلب السين تاء كما فى نطق بعض اليمنيين (النات) بدلاً من الناس وكذا قلب الذال وإلا فى نكر إلى دكر. ولا نستطيع أن العادات اللغوية فى سن الطفولة قد يمتد أثرها فى حياة المرء فالطفل قد يقلب الجيم دالا فى نحو ددى أى جدى) وقد يقلب الراء صوت لين ورق (ويق) ربع (وبع)، وقد يقلب الشين سيناً (شمس شمس)، بل قد يسقط بعض مقاطع الكلمة (شوكولاته : آته) وقد عنى القراء بالأصوات واستنكروا ما شاع فى اللهجات، فالقلقلة ليست إلا مبالغة فى الجهر بالصوت حتى لا يهمس إلى غير ذلك.

سرعة الأداء الصوتى :

ولا نستطيع أن ننكر أن من عوامل التطور الصوتى سرعة الأداء الصوتى فعندما تؤدى الأصوات بهدوء وبطء فإنها تبدو فى هذه الحالة واضحة والمعالم والملامح وفى المقابل عند ما تؤدى الأصوات بشكل سريع متعجل فإنها فى هذه تبدو تائهة المعالم

والملامح والصفات. وقد رصد القدماء عدة ظواهر يبدو سرعة الأداء سبباً رئيسياً فيها، من هذه الظواهر ظاهرة القطعة عند طئ، وتعنى قطع اللفظ قبل تمامه نحو (يا أبا الحكا – النها طلا) أى يا أبا الحكم النهار طلع) وهذا قريب من لهجة دمنهور وبورسعيد فى مصر إذ يقولون أنا من (دمنهو) ويأتى بهمزة بعد الواو – وأنا من بورسعي.

وكذا يظهر فى ظاهرة (الغمغمة)، وتعنى أصوات لا يفهم تقطيع حروفها وكذلك فى ظاهرة (رتة) العراق أو لخلخانية العراق. ويبدو أن كل هذه الظواهر تقوم على التعجل فى الأداء الصوتى ومازلنا نسمع بعض العراقيين بقوله : (فمله) أى : فى أمان الله. وذلك عندما يودعك كما نقول كثيراً (انشله) أى إن شاء الله. ويبدو أن هذا التسرع فى النطق هو السبب فى ضياع كثير من أصوات الكلمات وتحويلها إلى ما يشبه الكلمة الواحدة نحو (معلش) أى : ما عليه شئ. ونحو (شخبارك) : أى شئ أخبارك كما يقول الليبيون. واللخلخانية لكنه فى الكلام طابعها العجلة والتسرع، وتؤدى إلى الكثير من الحذف فى الأصوات وبخاصة أصوات اللين والهمزة بخاصة. وقد تؤدى سرعة الداء إلى قلب الصوت إلى صوت آخر نحو قلب الجيم شيناً أو قلب التاء دالا نمو (اجتمعوا، واشتمعوا، واجدمعوا).

وفى مقابل سرعة النطق نجد بطء النطق، وهى ظاهرة رصدها القدماء وسموها باسم (التضجع) ويقصدون بها التباطؤ والتراخى فى نطق الأصوات، فهى على التنفيض من الظواهر السابقة.

(١) ظاهرة المماثلة (الإدغام) Assimilation

ومصطلح المماثلة يطلق فى المجال اللغوى على ثلاثة أنواع من الظواهر هى المتشابهات، والمماثلات والتاريخية، ومماثلات المجاورة والنوع الأخير هو أكثر هذه الأنواع الثلاثة التى ينطبق عليها لفظ المماثلة فقد يتجاوز صوتان فيكتسب أحدهما صفة الآخر فيصبحان مجهورين أو مهموسين وتسمى الحالة الأولى مماثلة الجهر، والثانية مماثلة الهمس، وقد تتجاور صوتان أحدهما مفخم مطبق والآخر مرقق فيصبح هذا المرقق مفخما ومن ذلك إدغام صوت فى صوت آخر يماثله (الإدغام) أو فى صوت آخر يشابهه، ويسمى الإدغام أيضا.

والمماثلة – على كل – من أبرز ظواهر العربية، فالنون المفصولة عن الميم فى (نمر) وهذا الفصل (بالكسرة) يحول بينها وبين أن تتأثر بها على حين أن النون الساكنة تدغم فى الميم كما سبق ذكر ذلك.

فالإدغام له صورتان، إدغام كامل يعدم فيه أثر النون (بلاغنة) وذلك مع اللام والراء، فيصيرا لاما آراء مشددة. وإدغام ناقص بغنه مع أربعة أصوات هى الميم والنون والواو والياء وهنا تقلب النون إلى أحد الأصوات الثلاثة الميم والواو والياء مع نوع من الأنفية من آثار النون خلال النطق بالصوت مضعفا، وإما إدغامها فى النون فمجرد تضعيف يطيل أنفيتها (الغنه) فيها.

والخلاصة أن مصطلح المماثلة عند المحدثين فى كتب الأصوات اللغوية بقصد بها تأثر الأصوات بعضها ببعض حين تجاورها، فهى إحدى الظواهر الوظائفية.

وهم يقسمونها إلى نوعين هما :

(١) المماثلة الرجعية، وفيها يتأثر الصوت الثاني بالأول، وتسمى (regressive) أو قل يؤثر الصامت المتأخر فى الصامت المتقدم عله مباشرة نحو (بدى) بدلا من (ودى) وأزدق بدلا من (أصدق)، و(أخت) بدلا من (أخذت).

حيث أثرت الدال فى الواو قبلها فى الأولي وأثرت الدال فى الصاد فى الثانية وهى مهموسة فصارت مجهورة ونطقت زايا مفحمة. كما أثرت التاء ى الثالثة فى الذال قبلها وهى مجهورة فأفقدتها جهرها وصارت مهموسة وتحولت إلى تاء و إدغم الصوتان. وقد مر بنا كثير من هذه الظواهر عند الحديث عن الصوامت.

(٢) المماثلة التقدمية، وفيها يؤثر الصوت المتقدم فى الصامت المتأخر، أو يتأثر اللاحق بالسابق مباشرة وتسمى progressive ولم يشر كتب القراءات إلا لهذا النوع من المماثلة أو الإدغام كما أن الإدغام فيها قد قسم إلى نوعين :

(أ) الإدغام الصغير، وفيه يتحاور الصوتان الساكنان دون فاصل من أصوات اللين كما هو شائع فى معظم اللغات غير المعربة،

وذلك لأن شرط تأثر صوت بآخر هو التقاؤها التقاء مباشراً سواء أكان هذا الالتقاء فى نفس الكلمة أم فى كلمتين متجاورتين.
حيث يبدو أن أبا عمرو بن العلاء كان لا يلتزم فى قراءته النطق بالحركات الإعرابية، أى يسكن أواخر الكلمات مما قد يترتب عليه التقاء الحرف الأخير الساكن من الكلمة السابقة بالحرف الأول الساكن بالحرف الأول من اللاحقة فإذا تشابه الحرفان أو تقاربا فى الصفة أو المخرج أدى ذلك إلى تأثر أحدهما بالآخر.

(ب) الإدغام الكبير : حيث يفصل فيه بين الصوتين المتماثلين أو المتشابهين حركة، وعلى كل فأن فى العربية صيغة تقع فيها المماثلة التقدمية بصورة قياسية حيث يؤثر الصامت الأول فى الثاني وذلك فى صيغه (افتعل) وفى كل تصاريفها إذا كانت جفاؤها دالاً مثل (دعا) فيقال فيها (ادعى) لا أدتعى لأن الدال مجهورة والتاء مهموسة فتأثرت التاء بجهر الدال فصارت مجهورة.

وكذا إذا كانت فاؤها (ذالا) مثل (ذكر) فأصبحت (اذتكر – اذدكر) (ادكر) أو (أذكر).

وكذا إذا كانت فاؤها (زايا) نحو (زجر – ازتجر – ازدجر).

ومن صيغة افتعل أيضاً ما تكون فاء الفعل فيه صوتاً مطبقاً مفخماً مثل (صبر)- (اصطبر) – ومثل ظلم – اظتلم – اظطلم (أظلم). ومثل (طلع – اطتلع – اطلع). وكذا فى (اطرد) ومثل

(ضرب – اضترب – اضطرب) حيث أثر الصامت المطبق بتفخيمه فى التاء بعده فحولها إلى صوت الطاء إلا فى (أظلم) فلم يؤتى فيها بالطاء قبل الظاء وإنما مكتب طاء وادغمت فى(ظاء) الفعل حيث أثرت الظاء مرة أخرى برخواتها فى الطاء فصيرتها مثلاً رخوة.

- وعلى ذلك فإن التأثير الإدغامى فى صورتيه الرجعية والتقدمية يقوم على القرابة أو المماثلة بين الأصوات،وهذه القرابة او التقارب يقوم على مستويات هى مستوى القرابة المخرجيه كالقرابة بين الأصوات الشفوية ومستوى التقارب أو القرابة الوضعية أو المخرجيه حين يكون الصامتان من مخرج واحد كالدال والتاء، والذال والتاء، والزاى والسين ولكن الصوتين المختلفتين فى جهرهما أو همسهما فهو إدغام متشابهتين.

أو إدغام المثلين فهو صورة من التضعيف ؛ وذلك إذا لقى الصوت صوتاً مثيلاً له فيدغمان فيصيران مشدداً أو مضعفاً دون أدنى تغير، كما فى آخر الفعل (اشتد) المضعف ويفك هذا التضعيف مثلاً عند إسناده إلى التاء الفاعل (اشتددت)، وبعض اللهجات القديمة أو الحديثة تتخلص من التضعيف بقلب أولهما صوت لين (ياء) فيقال (أشتديت).

- كما أن الإدغام يتوقف على درجة التأثر، فالأصوات المتجاورة تختلف فى درجة التأثر، فقد لا يتعدى ذلك التأثر حد تغير إحدى صفات الصوت، بانتقاله من الهجر إلى الهمس ؛ فإذا التقى مهموس مع مهجور فقد يقلب أحدهما إلى أى نظير الآخر بحيث يتكون منهما

صوتان مهموسان أو مجهوران، وذلك بهدف فى التقريب بين الصوتين المتجاورين ما أمكن تيسيراً لعملية النطق واقتصاداً فى الجهد العضلى. وقد يؤثر الانسجام الصوتى بين أصوات اللين فى نقل أحدهما إلى الآخر وكذلك يرجع أيضاً فى تغير صفة الصوت من الشدة إلى الرخاوة والعكس. "ويمكن أن نتصور أن الإدغام كان أكثر شيوعاً فى لهجات القبائل النازحة إلى العراق أما البيئة الحجازية فقد كانت استقرار وبيئة حضارة نسبياً، فيها يميل الناس إلى التأثر فى النطق وإلى تحقيق الأصوات وعدم الخلط بينهما.

والقراء منهم من يؤثر الإدغام، وهم أبو عمرو، والكسالى وحمزة وابن عامر، وإن اختلطت النسبة بينهم. أما الذين يؤثرون الإظهار فمنهم ابن كثير ونافع وأبو جعفر وعاصم ويعقوب، بنسب مختلفة أيضاً..... ومن الممكن أن نغزو الإدغام بصفة عامة إلى البيئة العراقية، والإظهار بصفة عامة إلى البيئة الحجازية غير أن (عاصما) قد خالف بيئته فى الميل إلى الفتح، فلا غرابة أن يخالف بيئته هنا أيضاً... والقبائل العربية منها من أثر الإدغام (تميم -أسد- بكر -تغلب-عبد قيس) ومنها من تؤثر الإظهار (قريش- ثقيف- كنانة- الأنصار هذيل - تميم)"[1]

---

[1] د. إبراهيم أنيس فى اللهجات العربية ص ٧١-٧٣ مكتبة الأنجلوث، القاهرة ١٩٩٠

*** الإدغام الجائز فى القرآن الكريم:**

لوحظ أن أصوات الحلق قد خلت من الإدغام فى مقاربها إلا مثالاً واحد إباحة كثير من القراء (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة)[١] حيث أدغمت الحاء فى العين لأن العين هى النظير المجهور للحاء. وكذلك خلت كتبهم من إدغام الإطباق فى غيرها إلا فى (فإن استاذنوك لبعض شأنهم)[٢] وقد خلت من ذكر الزاى والشين مدغمتين من الأصوات.

- أما الباء فيجوز إدغامها فى الميم والفاء: (يا بنى اركب معنا)[٣] (وإن تعجب فعجب قولهم)[٤].

وقلب الباء ميماً وإدغامهما لان مخرجهما من الشفتين، أما إدغامهما فى الفاء فهو أقل شيوعاً لأنه قلب الباء المجهورة إلى نظيرها المهموس.

- أما التاء فتدغم فى عدة أصوات إدغاماً صغيراً ؛ وذلك فى إدغامها مع التاء نحو (ألا بعد المدين كما بعدت ثمود)[٥].

وتدغم مع الجيم (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها)[٦] فقد جهر أولاً بالتاء فصارت دالاً ثم انتقل فخرج الدال من أصول الثنايا

---

(1) آل عمران / ١٨٥
(2) النور / ٦٢
(3) هود / ٤٢
(4) الرعد / ٥
(5) هود / ٥٩
(6) النساء / ٥٦

إلى وسط الحنك وبهذا التقى بالجيم. ومنه كذلك إدغامها فى الفاء (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورها)[١].

فقد جهرت التاء فصارت دالاً نون الصوت الثانى (الظاء) مجهور ثم سمح للهواء بالمرور فصارت (رخوة) أى دالا ولا فرق بين الذال والظاء إلا فى إطباق الظاء.
ومنه إدغامها فى السين (وجاءت سيارة)[٢].
صارت التاء رخوة كالسين. * كما تدغم فى الصاد (أو جاءوكم حصرت صدورهم) صارت رخوة كالصاد.
* وتدغم فى الزاى (مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً) وهنا جهر التاء (الإثم سمح للهواء بالمرور فأصبحت رخوة أى ذالا......
وتدغم التاء إدغاماً كبيراً فى أصوات أخرى، وهى الذال إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)[٣] سقطت حركة الكسر ألف صفة بين التاء والذال ليتم تجاور الصوتين وكذلك مع الشين نحو (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدهم)[٤]
وهذا الإدغام نادر.

وكذلك تدغم التاء من (والعاديات صبحاً، ويبدو أن هذا الإدغام تم بعد تطور نطق الضاد فأصبحت الآن مطبق الدال.

---

(1) الأنعام / ١٤٦
(2) يوسف / ١٩
(3) هود / ١١٤
(4) النور / ٤

- وكذلك تدغم التاء مع الطاء نحو (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب)[١].

على فرض أن الطاء مهموسة كما فى نطقنا فيحدث الإدغام.

* أما الثاء فتدغم إدغاماً صغيراً فى نحو (فمثله كمثل القلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا)[٢] وهذا هو المثل الوحيد فى القرآن.

- كما تدغم مع التاء كما فى (قال قائل منهم كم لبثت)[٣].

وكذلك تدغم إدغاماً كبيراً فى عدة أصوات منها السين، فى (وورثت سليمان داود)[٤].

وفى الشين نحو (فكلا من حيث شئتما)[٥].

وفى الضاد نحو (هل آتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين)[٦]

* أما الجيم فتدغم فى صوتين إدغاماً كبيراً وهى الشين نحو (ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه)[٧] وكذا إدغامها فى التاء نحو (من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح إليه)[٨].

---

(١) الرعد / ١٣
(٢) الأعراف / ١٧٦
(٣) الكهف / ١٩
(٤) النحل / ١٦
(٥) الأعراف / ٣٩
(٦) الذاريات / ٢٤
(٧) الفتح / ٢٩
(٨) المعارج / ٣، ٤

* أما الدال فتدغم فى عدة أصوات إدغاماً صغيراً، كإدغامها فى الذال نحو (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس)[١].

وكذا إدغامها فى الظاء (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه)[٢].

وكذا تدغم مع الضاد نحو (قد ضلوا ضلالاً بعيداً)[٣]. وكذا مع الجيم نحو (لقد جاءكم رسول من أنفسكم)[٤].

وكذلك مع الشين نحو (قد شغفها حباً)[٥].

وكذلك تدغم الدال مع السين نحو (قد سألها قوم من قبلكم)[٦].

وكذلك تدغم مع الزاى نحو (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح)[٧].

وتدغم مع الصاد نحو(ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كث مثل)[٨]

وأخيراً تدغم الدال مع التاء نحو (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها)[٩].

* وأما الذال فهى تدغم إدغاماً صغيراً فى عدة أصوات منها التاء نحو: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم)[١٠] وكذا تدغم مع الدال نجو (ولولا إذ دخلت جنتك)[١١].

وكذلك تدغم مع الجيم نحو : (إذا جاء ربه بقلب سليم)[١٢].

وتدغم مع السين نحو (لولا إذ سمعتموه)[١٣].

وتدغم مع الزاى نحو (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم)[١٤].

---

(1) البقرة / ٢٣١
(2) النساء / ١٦٧
(3) التوبة / ١١٨
(4) يوسف / ٣٠
(5) المائدة / ١٠٢
(6) الملك / ٥
(7) الإسراء / ٨٩
(8) آل عمران / ١٤٥
(9) آل عمران ١٤٥
(10) إبراهيم / ٥
(11) الكهف / ٣٩
(12) الصافات / ٨٤
(13) الأنفال / ٤٨
(14) الأنفال / ٤٨

وأخيرا تدغم الذال مع الصاد.وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن)[١].

* اما صوت الراء فلا تدغم إلا فى اللام ؛ نحو (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم)[٢].

* أما السين فتدغم إدغاما كبيرا فى كل من الزاى والشين نحو (وإذا النفوس زوجت)[٣]، (واشتعل الراس شيبا)[٤].

* أما الفاء فتدغم فى مثل واحد هو (إن نشأ نخسف بهم الأرض) حيث أدغمت فى الباء ورويت هذه القراءة عن الكسائى وأظهرها الباقون.

* أما القاف فهى تدغم إدغاما كبيرا فى القاف نحو (وقد خلقكم أطوارا)

* وأما الكاف فهى تدغم إدغاما كبيرا فى القاف نحو (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى اعلم ما لا تعلمون).

* أما اللام فالمعروف أنها إذا كانت للتعريف فإنها تدغم وجوبا فى أربعة عشر حرفا وتسمى باللام الشمسية وسبب إدغامها قربها فى المخرج معها وهى (ت،ث،د،ر،ز،س،ش،ص،ض،ط،ظ،ل،ن،) على حيث تظهر مع بقية الأصوات، وتسمى باللام القمرية وهى (الهمزة، ب،ج،ح،خ،ع،غ،ف،ق،ك،هـ،و،ى، والإدغام والإظهار هنا متفق عليه بين النحاة والقراء. أما اللام غير التعريفية فيجب إدغامها مع النون الساكنة أو التنوين قبلها نحو (لأيات لقوم) حيث

---

(1) الأحقاف / ٢٩
(2) آل عمران / ٣١
(3) التكوير / ٧
(4) مريم/، ٥

يجمع القراء على لزوم إدغامها بغير غنه. وكذلك يجوز إدغامها فى الأمثلة القرآنية إن كانت لغير تعريف مع عشرة أصوات هى الراء والتاء والثاء، والزاى والسين، والفاء، والطاء، والظاء، والنون والذال، ولأمثلة ذلك على الترتيب : (قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك)[١] (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا ان آمنا بالله)[٢]

.. (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون)[٣]..(بل زين للذين كفروا مكرهم)[٤].. (بل سولت لكم أنفسكم أمرا)[٥]..(بل ضلوا عنهم)[٦]..(بل طبع الله عليها بكفرهم)[٧]..(بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول)[٨].. (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه)[٩]...(ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ).

---

(1) هود / ٨١
(2) المائدة / ٥٩
(3) المطففين / ٣٦
(4) الرعد / ٣٣
(5) يوسف / ٨٣
(6) الأحقاف / ٢٨
(7) النساء / ١٥٦
(8) الفتح ٤٨
(9) الأنبياء / ١٨

(٢) **ظاهرة المخالفة Dissimilation** :

عرفت فى العربية كلمات قولت فيها الأمثال كتوالى النونات، فى الفعل مثل (تظن) عند توكيده بالنون فصارت (تظنن) فلما كثرت النونات تخلص من إحداها بقلبها صوت لين فصارت (تظنى) فى العامية، وهذا يحدث عند توكيد الفعل المسند إلى نون النسوة أو واو الجماعة أو تاء الفاعل أو ياء المخاطبة وذلك عندما تلحقه نون التوكيد المسددة مع وجود نون رفع المضارع فى آخر المضارع من هذه الأفعال....

وكذلك تظهر ظاهرة المخالفة فى التخلص من تضعيف الفعل عند إسناده إلى ضمير رفع متصل كتاء الفاعل ون الفاعلين، وذلك باللجوء إلى وضع صوت لين كالياء للتخفيف من أثر التضعيف كما نقول فى رددت (رديت) وفى مددت (مديت).

ويمكن أن تقاس المخالفة فى الرباعى المضاعف المأخوذ من الفعل الثلاثى المضعف الوسط نحو (جر جرر – جرجر) (مص – مصص – مصمص) – (زم – زمم – ر زم) وغن كان الصرفيون يظنون إن كلا من المضعف والمضاعف أصل بذاته.

ومن المخالفة تخلص الناس من إدغام المتماثلين بقلب أحدهما إلى أحد الأصوات المتشابهة من نحو برق بصره : بر

ونحو كبل و(كعبل) وربما زيد صوت نحو (شرط وشرمط) وغطش (ضعف بصره)، وغطرش (اى تجاهل) – ونحو خشم، أى

كسر انفه وخرشم. وصيغة (أفعل) فى العامية لا تكاد تجدها وأصبحت العامية تستعمل صيغة (فعل) وأما الرباعى فمنه المضاعف نحو (جرجر) ومنه غير المضاعف مثل (بربش، رهرط، ممكنن، سلطح - شلفط - زمجر - طلسق).

(٣) ظاهرة القلب المكانى:

عرفت اللغة الفصحى ظاهرة القلب المكانى مسموعاً فى كلمات نحو (ينس وأيس) وضجر وجضر، وجضت وضج، (وبكل ولبك) و(جذب وجبذ) ويبدو أن هذا تصرف لهجى.

مرجعه الخطأ فى ترتيب أصوات الكلمة، أو التجانس الصوتى. بين أصواتها وهذا موجود فى اللجهات الحديثة فى مفردات مثل (معلقة وأنارب – وجوز – وفخر وجواز وجنزبيل واهبل بدلاً من ملعقة وأرانب وزوج وحفر وزواج وزنجبيل وأبله ومسرح).

(٤) ظاهرة تنافر الأصوات:

وهذه المسألة أشار إليها البلاغيون فى كتبهم فى ثنايا حديثهم عن شروط فصاحة الكلمة، حيث اشترطوا لذلك بألا تكون الكلمة غريبة وحشية مثل (تكأكأ وافرنقع) بمعنى بمعنى اجتمع وتنحى. كما اشترطوا كذلك خلوا الكلمة من تنافر الحروف – وهو ما يهمنا فى هذا المقام. وهذا الشرط يبدو فيه ربط البلاغيين العرب فصاحة اللفظ المفرد بالهيئة التى تتخذها الأصوات المعبرة عنه، فهم يرون ان

التنافر ينشأ عنه أن تكون الكلمة متناهية الثقل على اللسان نحو هعخع أو ثقيلة مثل (مستشرز)، وذلك لتوسط الشين وهى مهموسة رخوة بين التاء وهى مهموسة شديدة والزاى وهى مهجورة. لكن البلاغيين لم يحددوا الأسباب إلى تنافر الكلمة ولأسباب ثقلها وقلة ترددها وعدم فصاحتها، ولم يرصدوا الأنساق التى تتخذها الأصوات فى الصيغ المختلفة ولا فى بيان المتنافر فيها والمتلائم المتجانس، وهذا جانب اهتم به اللغويون[١] فى تحديد النماذج اللغوية ومدى شيوعها وارتباط ذلك بمبدأ السهولة او الجهد الأقل ورأوا أن الأسباب المؤدية إلى تنافر الأصوات ترجع إلى تقارب مخارجها التى يقبح معها وجه التأليف، وإذا تباعدت حسن وجهه لثقل الأول وسهولة الثانى، كما لوحظ بناء من ثلاثة أحرف متجانسة خاصة إذا ما كانت هذه الحروف حلقية فهم يجمعون بين اثنين منها فقط كما فى (أحد،أهل،عهد،ونجع واخ). كما أن العرب يحولون أحد الحرفين المتقاربين إلى آخر تجنب لتواليهما، كتحويل اللام إلى راء فى نحو (بل رّان) لأنه لا يتحقق فى كلام وذلك لقرب مخرجى اللام والراء.

أما صاحب (عروس الأفراح)[٢] فإنه يرى أن التنافر قد يكون لتباعد الحروف جداً أو لتقاربها جداً. ومع ذلك يرى أن الحروف المتقاربة اجتماعها أخف. ولقد اعترض على كل من مبدأى التقارب والتباعد بوجود وأبنية غير متنافرة تتعارض معهما فمن الأولى

---

[1] د. محمد على الخولى، التحليل الإحصائى لأصوات اللغة العربية ص٤٩-٩٢، مجلة مجمع اللغة العربية، جامعة أم القرى، العدد الثانى ١٩٨٤.

[2] الشيخ بهاء الدين، عروس الأفراح، ص ١٩٣، ١٦٤

(الشجر والجيش والفحم) – ومن الثانية (القلم والبصر) ولكن الرأى السابق أهمل وجود الحركات المصاحبة لهذه الأصوات فى تشكيل الكلمات مع الأصوات الصامتة. بيد أنه لوحظ أنه يمكن تقسيم مخارج الأصوات إلى قسمين: وهى المخارج الأمامية وتضم المخارج الشفوية، والشفوية الأسنانية والأسنانية اللثوية، والأسنانية واللثوية، واللثوية الغاربة، وأصواتها أكثر الأصوات شيوعها لسهولة هذه المخارج بالمقارنة مع المخارج الخلفية بسبب قربها من طرف اللسان الذى تسهل ملامسته للمخارج السلبية المرتبطة بهذه الأصوات أو اقترابه منها. أما القسم الثانى منها فهو يتمثل فى المخارج الخلفية وتشمل المخارج الغارية، والطبقية والحلقية والحنجرية، فمن هذا التركيب الأضرار من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى نحو (عدم) أو الانتقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى (عبد)، ويرى صاحب عروس الأفراح أن أحسن هذه التراكيب وأكثرها استعمالا ما يتم فيه الانتقال من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى،وأما أقلها استعمالاً فهو يتم الانتقال فيه من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط (فعلى).

(٥) أصوات الكلمات ومدلولاتها:

انشغل اللغويون والبلاغيون وعلماء الكلام بقضية العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها، وناقشوا ذلك فى إطار قضية أصل اللغة أهى توقيف واصطلاح أم هى توفيق وإلهام، أن من بين المذاهب المتعلقة

بأصل اللغة مذهبا يرى أن أصل اللغات كلها من تسمى الأشياء بأصوات كخرير الماء وتفرعت عنها الصور الصوتية المختلفة.[١]

فهو يرى ان أصوات الكلمات نشات محاكاة الأصوات الطبيعية، بيد أن السيوطى ينقل لعباد الصيمرى المعتزلى يتعلق بوضع اللغة يذكر فيه ان الألفاظ تدل على المعانى بمفرداتها.[٢]. أى انه يرى ان اللغة قد حكمتها ارتباطات عقلية مبررة لا ارتباطات رمزية اعتباطية، والرأى الغالب عند أهل النظر كما يقول ابن جنى أن أصلها المواضعه والاصطلاح[٣] فهى ذات طبيعة اجتماعية عرفية اصطلاحية؛ بل أن ابن جنى يكاد يذهب كالصيمرى إلى الاعتقاد فى دلالة الألفاظ على مدلولاتها.

حيث يرى أن هناك ارتباطا بين الهيئة التى تتخذها الصيغ ومدلولاتها ويذكر من ذلك المصادر الرباعية المضعفة نحو القلقلة والصلصة والقعقعة وكذا بناء (فعلى) الدال على السرعة أما المصادر المضعفة السابقة فدالة على التكرير، بل ربط بين محسوس الأصوات بمحسوس الأحداث نحو (خضم وقضم)، فالخاء فى الأول تناسب الخضم المدلول عليه بخضم فهو كل الرطب كالبطيخ والغناء، والقاف لصلابتها تناسب المدلول عليه بقضم ما هو صلب يابس.

(1) الخصائص ١/٤٦، ٤٧
(2) المزهر ١/١٦
(3) الخصائص ١/٤٠

ومنه ارتباط مجموعة من الأصوات بمعنى غالب من هذا الدال والتاء والطاء والراء واللام والنون فإنها أكثر ما تعبر إذا ما زاحمتها الفاء على التقديم والتأخير وعن الوهن والضعف ونحوها.

ولكن لابد من الاعتراف من اعتباطية اللغة وتتبدى مظاهر ذلك فى مستوياتها وبخاصة المستوى الصوت لها ويتجلى ذلك فى تحديد عدد الأصوات المميزة التى تتكون منها صيغها كما يتجلى فى اختيار الصفات المميزة لكل صوت من جهر وهمس وترقيق أو تفخيم ومن شدة أو رخاوة إلى غير ذلك.

ولكننا بعض الأصوات الانفعالية التى يمكن وجودها فى لغات عدة وهى قليلة جداً يمكن أن نعتبرها ذات دلالية نحو : آه.

فالأصوات المفردة فى حد ذاتها لا تحمل أى معنى إلا إذا وضعت فى سياق، فإن منها قد يدل على معنى ويجمعها قولك (بكشف سألتمونيها) وأصوات سألتمونيها تؤدى معنى صرفياً.

وقد تؤدى مع ذلك معنى نحوياً ويضاف إليها الباء والكاف والشين والفاء. إلى جانب انها تؤدى وظيفة تشكيل صيغ الكلمات فى العربية باعتبارها حروف معانى.

وأما على مستوى المقطع الصوتى فقد لوحظ عدة حقائق فى التقسيم المقطعى للغة الفصحى وأهم هذه الحقائق:

١- لا يبدأ المقطع العربى بحركة، كما لا يبدأ بمساكن (صامت ساكن وإنما بصامت متحرك.

٢- لا يبدأ المقطع العربى بساكنين.

٣- لا يجوز أن يجتمع ساكنان فى موقع تصعيد المقطع إلا فى الوقف.

٤- أقل ما يبنى منه المقطع صوتان، وحينئذ لابد ان يكون أولهما صامتاً وثانيهما متحركا.

٥- لا يتجاوز اكثر من صامتين فى وسط الكلمة وإذا ما حدث ذلك يعتبر الصامت الأول شاغلاً لموقع تغيير مقطع، والثانى لموقع إطلاق مقطع آخر كما يتضح من التقسيم المقطعى (يكتب).

٦- بعض مقاطع العربية خاص تجالة الوقف فلا تأتى فى وسط الكلمة نحو (ص ح ح) نحو باب ونحو (ص ح ص ص) مثل (قلب) فى الوقف. وص ح ح ص ص وذلك نحو المقطع الثانى من قواد[1]

---

[1] د. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوى ص ٢٥٦، ط٢، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨١.

فهرس المراجع والمصادر

د. إبراهيـــم أنيس (١) الأصوات اللغوية، الأنجلو المصرية،١٩٩٠

(٢) فى اللهجات العربية، ط ٨، مكتبة الأنجلو القاهرة،١٩٩٠

(٣) دلالة الألفاظ، الأنجلو ط١، ١٩٥٨ م.

د. إبراهيم السامرانى (٤) التطور اللغوى التاريخي ط٢، دار الأندلس بيروت، ١٩٨١

أبروكرومبى - ديفيد) (٥) علم الأصوات العام ترجمة محمد فتيح، ط١،١٩٨٨

د. أحمد سليمان ياقوت (٦) فى علم اللغة التقابلي، دار المعرفة الإسكندرية،١٩٨٥

(٧) الهاء فى اللغة العربية، دار المعرفة الإسكندرية،١٩٩٠

د. أحمد مختار عمـــر (٨) دراسة الصوت اللغوى، علم الكتب، ١٩٧٦

أحمد بن مسعـــــــود (٩) مراح الأروع فى علم الصرف، وشرحه بن كمال باشا ط ١٩٣٧هـ.

ابن الأنبارى أبو بركات (١٠) الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين

ابن الجـــــــزرى (١١) النشر فى القراءات العشر، ط مصر

ابن جنــــــــى (١٢) الخصائص، دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ

(١٣) سر صناعة الأعراب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط مصر

(١٤) المحتسب فى شواذ القراءات

(١٥) المنصف تحقيق إبراهيم مصطفى وأخر، ط الأولى ١٩٦٠

الجوهـــــــري (١٦) الصحاح تحقيق أحمد عبد الغفور، دار الكتاب، القاهرة ١٣٧٦هـ

د. حســـان (تمـام) (١٧) اللغة العربية، معناها ومبناها،الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣م.

(١٨) مناهج البحث فى اللغة، مكتبة الأنجلو، القاهرة،١٩٩٠

أبو حيـــان الاندلس (١٩) تفسير البحر المحيط - القاهرة، ١٣٢٨هـ

د. حســـن ظـاظـا (٢٠) كلام العرب، من قضايا اللغة، دار النهضة بيروت،١٩٧٦

الخضــــــرى (٢١) حاشية الخضري، القاهرة،١٣٢٠هـ

د. رمضان عبد التـواب (٢٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، الخانجى القاهرة، ١٩٨٢

(٢٣) بحوث مقالات فى اللغة ط٢، ١٩٨٨

(٢٤) التطور اللغوى، مظاهره وعلله وقوانينه، ط ٢ مكتبة الخانجى بالقاهرة

الزجاجى — (٢٥) اللامات، تحقيق مازن المبارك، مجمع اللغة بدمشق، ١٩٦٩

الزمخشرى — (٢٦) أساس البلاغة، القاهرة، ١٩٢٢م

(٢٧) تفسير الكشاف، المطبعة البهية - المصرية، ١٩٤٢

(٢٨) المفصل، القاهرة ١٣٢٣هـ

سيبويه — (٢٩) الكتاب تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت

السيوطى — (٣٠) المخصص فى اللغة تحقيق الشنقيطى، بولاق ١٣٢١هـ

(٣١) الأشباه والنظائر، ميدو آباد، ١٣١٦هـ

(٣٢) المزهر، تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرين، ط الحلبى د.ت

(٣٣) جمع الهوامع تصحيح محمد بدر النسانى، القاهرة ١١٢٧هـ

الصبان — (٣٤) حاشية الصبان على الأشمونى، دار الفكر ١٣٠٥ هـ

د. طاهر حمودة — (٣٥) ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى، الدار الجامعية، الإسكندرية

د. الصبور شاهين — (٣٦) فى التطور اللغوى، مكتبة الشباب، القاهرة

د. عبد الغفار حامد — (٣٧) اللهجات العربية نشأة وتطور، ط٢، ١٩٩٠م

د. عبد القادر عبد الجليل — (٣٨) الأصوات اللغوية، ط ١، ١٩٩٨ دار الصفا عمان.

د. عبده الراجحى — (٣٩) اللغة علوم المجتمع، الإسكندرية، ١٩٧٧

(٤٠) النحو العربي والدرس الحديث، الإسكندرية، ١٩٧٧

العقاد (عباس محمود) — (٤١) أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب، دار المعارف، ١٩٦٨

د. على عبد الواحد وافى — (٤٢) علم اللغة، ط٧، نهضة مصر.

ابن فارس اللغوى — (٤٣) الصاحبى فى فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويحى مؤسسة بدران، بيروت، ١٩٦٤م.

(٤٤) مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، أحياء الكتب العربية، القاهرة.

القرطـــــــــبى (٤٥) تفسير القرطبى. الجامع لأحكام القرآن، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

د. كمـــال بشـــر (٤٦) دراسات فى علم اللغة. دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م

(٤٧) علم اللغة العام، الأصوات، ط٢، دار المعارف، ١٩٧٣

ماريـــويـــاى (٤٨) أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، ١٩٧٣

مالبـــرج(برتـــيل) (٤٩) علم الأصوات، تقريب ودراسة، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ١٩٨٤

د. محمد على الخولى (٥٠) التحليل الاخصائى لأصوات اللغة، مجلة مجمع اللغة، جامعة أم القرى، العدد الثاني، ١٩٨٤

د. محمود السعــران (٥١) علم اللغة، دار الفكر العربي، د.ت

د. محمود حجـــازى (٥٢) علم اللغة العربية، دار العلم، بيروت، ١٩٧٣م.

مكس القيــــــسى (٥٣) الكشف، ط دمشق، ١٣٩٤ هـ

ابن منظـــــور (٥٤) لسان العرب، دار المعارف، القاهرة

د. نـايـف خـــرما (٥٥) أضواء على الدارسات اللغوية المعاصرة دار المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م

يـــاســـين (٥٦) حاشية الشيخ ياسين على شرح التوضيح القاهرة، ١٢٧٤هـ

ابن يعــــيش (٥٧) شرح المفصل، المنيرية، القاهرة

فهرس محتويات الكتاب